

وَحَوَّةُ الْحَقِّ

# لِللَّهِ سِرٌّ

وَعَزُّ الْفَضَاءِ

بِقَلَمِ  
الشيخ محمد كرسوي

السنة السابعة - العدد ٧٢ - ربيع الأول ١٤٠٨ هـ - أكتوبر ١٩٨٧ م

وَحَوَّةُ الْحَقِّ

لِللَّهِ سِرٌّ  
وَعَزُّ الْفَضَاءِ

بِقَلَمِ  
الْشَيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ سَوِيدٍ

السنة السابعة - العدد ٧٢ - ربيع الأول ١٤٠٨ هـ - أكتوبر ١٩٨٧ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## الاهداء

إلى الأجنحة القوية الناشرة ظلالها على الذرى .  
إلى السواعد السمراء المقتولة ، المستحمة بزيوت المعامل ،  
المضمخة بدخان المصانع .  
إلى رواد الفضاء الكامنين فى ضمير الغيب من أبناء أمتى العربية  
فى غد مشرق قريب أقدم هذا المشعل .

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد  
الصادق الوعد الأمين وعلى آله واصحابه والتابعين ، وبعد :

كثيرون هم الذين تساءلوا والذين هم في طريق التساؤل : ما  
رأى الأديان الباسطة أيديها ، الشاخصة أبصارها إلى السماء  
ضارعة شاكرة لله ، مسبحةً بحمده مقدسةً له في ملكوته ؟ ما رأيها  
الآن وقد اقتحم الإنسان آفاق الفضاء فولجها وقرب أبعادها  
أجل ، ما أكثرهم أولئك الذين مطّوا شفاههم استخفافاً بعد  
أن اخترق بعض حججها الكثيفة ، وكشف بعض أسرارها الخفية نفراً  
من عباد الله الأرضيين ؟

هذه الأسئلة تجد جوابها في القرآن الكريم الذي أشار إليها منذ  
أربعة عشر قرناً قبل أن تراود خيال المتسائلين لتستقر حائرةً على  
وجوههم وشفاههم ، فالتفتى على الإنسان : لو يدرك مواقع  
النجوم ، والدعوة إلى التفكير في خلق السموات والأرض ،  
ووصف ما في السماء من بروج وكواكب ، وشموس وأقمار وظلمة  
وشواظ من نار ، ونحاس كل هذا ليس عبثاً ، قال تعالى : ﴿وَتِلْكَ

الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴿١﴾ .

إن الفضاء وما فيه ظاهره وباطنه لم يكن يوماً سراً مغلقاً ولم تكن يوماً مقرأً لله ومستودعاً لأسراره فهو اله في السماء والأرض وفي كل زمان ومكان وهو خالق الزمان والمكان (ليس كمثله شيء) ولكن الإنسان بفطرته اعتاد أن يكرم من هو أعظم منه برفع مكانه وإعلاء مرتبته ، وأى مكانٍ أرفع من السماء رمزاً لتمجيد الله وتعظيمه ؟

إن السماء والأرض وما فيهما وبينهما صفحتان من صفحات الطبيعة الرائعة ، ذلك الكتاب الذى أتقن الخالق القدير صنعه ، ودعا الإنسان إلى المتعة به بما حباه من عقل وتفكير .

فإلى المتسائلين والحائرين جميعاً أتوجه بهذه الرسالة جواباً على تساؤلهم ودليلاً لحيرتهم والله حسبي ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين .

محمد سويد





الباب الأول  
حول القرآن ومحمد والعلم

## القرآن الكريم ومحمد ﷺ

إن القرآن الكريم هو معجزة الله ، وخاتم رسالاته إلى خلقه ،  
حملة محمد رسول الله ﷺ إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وحسبنا  
ونحن نبحت بعض الآيات الكونية في هذا الكتاب العظيم أن نقدم  
ما كتبه العالم الأمريكي «مايكل هارت» في كتابه «المئة الأوائل»  
حول محمد والقرآن ، والذي ترجمته إلى العربية مجلة «العربي»  
الكويتية في عددها الصادر في شهر كانون أول سنة ١٩٧٨ حيث  
كتب رئيس تحريرها الأستاذ أحمد بهاء الدين يقول : «لقد أخذ  
الكاتب على عاتقه مهمة مستحيلة لسببين :

أولاً : لكونه أراد أن يحدد من يعتقد أنهم أهم مئة رجل في  
التاريخ الإنساني كله منذ آدم حتى اليوم شاملاً كل المجالات من  
سياسة وحرب وعلم وأدب وفن وفكر واختراع .

ثانياً : لكونه رتب المئة بحسب أهميتهم الأول : فلان ، والثاني  
فلان ، والثالث وهكذا .. ويضيف الأستاذ بهاء أما المؤلف فهو  
(مايكل هارت) الأمريكي التبعة ، رجل العلم المتخصص في علوم  
الفضاء والأقمار الصناعية والصواريخ ، يحمل شهادة في الرياضيات  
من جامعة (كورنيل) وشهادة في القانون من جامعة (نيويورك)  
وشهادة في الفيزياء من جامعة (أوبلني) ودكتوراه في الفلك من

جامعة (برنستون) وقد عمل في أبحاث الفضاء العسكرية في (ميريلاند) وفي المركز القومي لدراسات طبقات الجو في (كولورادو) وفي أكبر مرصد للأفلاك في (كاليفورنيا) وهو الآن مسؤول علمي عن التطبيقات العلمية لعلوم الفضاء في (ميريلاند) .

يقول «مايكل» في كتابه : «إن اختياري محمداً ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والديوي ، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة ولكنهم ماتوا دون اتمامها كال المسيح في المسيحية ، أو شاركهم فيها غيرهم ، أو سبقهم إليها سواهم كموسى في اليهودية ، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية كاملة وتحدت كل أحكامها ، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته ، ولأنه أقام إلى جانب الدين دولة جديدة ، فإنه في هذا المجال الديوي أيضاً وحدّ القبائل في شعب ، والشعوب في أمة ووضع لها كل أسس حياتها ، ورسم أمور دنياها ، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم أيضاً في حياته ، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والديوية وأتمها ، وإن معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم ، ولكن محمداً هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماماً من كل مقومات الحضارة والتقدم ، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس والروم وبيزنطية المتقدمة بما لا يقاس ، وفي تاريخ الغزو في كل زمان ومكان يكون الغزو عسكرياً ، ولكن في

حالة الرسالة المحمدية فإن معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه استعربت تماماً وتغيرت لغة وديناً وقومية من العراق وسوريا ، إلى آخر الشاطئ الإفريقي غرباً ، إلى السودان جنوباً وبقيت أمة واحدة تتكلم لساناً واحداً إلى الآن فهناك اليوم وبعد ألف واربعمائة سنة ، خمسمائة مليون مسلم بينهم حوالي مئة وخمسون مليون عربى ، وهو معيار فى قياس أثر الرسالة أى استمرارها الزمنى وثباتها ليس له مثيل فى تاريخ الفتح فى العالم ، كذلك لا يوجد نص فى تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحد ، وبقى بحروفه كاملاً دون تحوير كل هذا الزمن سوى القرآن الذى نقله «محمد» الأمر الذى لا ينطبق على التوراة مثلاً أو الانجيل ، هكذا نجد أن فتوحات العرب التى بدأت فى القرن السابع الميلادى قد بقيت تلعب دوراً هاماً فى التاريخ الإنسانى حتى يومنا هذا ، ومن أجل هذا النفوذ الدينى والدنيوى فإننى وجدت أن محمداً هو صاحب الحق الوحيد فى أن اعتبره صاحب أعظم تأثير على الإطلاق فى التاريخ الإنسانى .

يقول أحمد بهاء الدين : وكان من الطبيعى أن يشرح المؤلف المسيحى للقارىء الأمرينكى المسيحى لماذا وضع محمداً فى المرتبة الأولى والمسيح فى المرتبة الثالثة فقال «مايكل» «أن أول سبب هو أن المسيحية بعكس الإسلام لم تقم بجهد رجل واحد مثل محمد بل قام بالجهد اثنان عيسى و «بولس الرسول» ، فالمسيح فى رأى هو الذى وضع القيم الأخلاقية الأساسية للمسيحية وأفكارها الأساسية عن السلوك الإنسانى ولكن الفقه المسيحى صاغة وفصله «بولس الرسول» كما أن بولس الرسول أضاف إلى ذلك فكرة «قدسية

المسيح» التي لم يقل بها أحد قبله ، كذلك فإن بولس الرسول هو الذى كتب جزءاً كبيراً من العهد الجديد وهو الذى كان أقوى معبر ومبشر بالمسيحية فى القرن الميلادى الأول .

لقد مات المسيح فى سن صغيرة نسبياً (سنة وثلاثون عاماً) ولم يترك بعده سوى عصابة قليلة من الأتباع والتلاميذ ، مات المسيح وأتباعه ليسوا أكثر من فرقة صغيرة من فرق اليهودية ولكن «بولس» هو الذى ناضل فى الدعوة وجمع الأنصار وتوجه بها إلى اليهود وغير اليهود أى إلى كل البشر ، وبهذا نمت وأصبحت إحدى الديانات الكبرى فى العالم «وبولس الرسول» هو الذى أسس الكنيسة بالمعنى الذى عرف بعد ذلك .

ويضيف «مايكل» كما أنه لا يمكن أن ينسب إلى المسيح مسؤولية كل أعمال المسيحيين خصوصاً حروبهم المذهبية الرهيبة واضطهادهم لليهود ، فإنه ليس صحيحاً بالمثل القول بأن النهضة العلمية أثمر من آثار المسيحية لمجرد أن النهضة العلمية ظهرت فى أوروبا المسيحية ، بل على العكس فقد اقترن تحوّل أوروبا إلى المسيحية بهبوط ذريع فى حرية العلم والتفكير العلمى ، أما قيام الثورة العلمية فى أوروبا فهو دليل على أن شيئاً ما فى تراث أوروبا الثقافى هو الذى ساعد على ذلك ، هذا الشيء لا يرجع إلى تعاليم المسيح ، ولكنه يرجع إلى العقلية الاغريقية التى جسدها ارسطو وأتباعه ، فالثورة العلمية والفكرية جاءت مع عصر النهضة «الرينيسانس» وليس مع انتشار المسيحية» اهـ .

لقد نقلنا إلى القارئ الكريم بإيجاز بعض ما كتبه العالم والمفكر

الأمريكي «مايكل هارت» عن محمد ﷺ والقرآن لنشير إلى المنظار الجديد الذى بدأ المثقفون الغربيون ينظرون من خلاله إلى الإسلام ونبي المسلمين .

إن القرآن الكريم الذى أنزله الله على محمد ﷺ هو المعجزة الأولى التى تحدى بها فصحاء العرب وبلغاءهم ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾<sup>(١)</sup> ، أما ما يفتره بعض الحاقدين من أعداء الإسلام من نسبة القرآن إلى محمد ﷺ حيث يقولون : هو من عنده ، ففى ما قدمناه على لسان واحد منهم الرد الكافى ونضيف إلى ذلك بأن العادة والعرف والمنطق تحتم على الكاتب الذى يترك أثراً نفيساً كهذا أن يقول هو من عندى ولكن محمداً قال هو من عند الله ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْجِىَ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّى هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ، ثم ما الذى ألجأ محمداً إلى أن يسجل فى كتابه - حسب زعمهم - إشاراتٍ ومواقف عتابٍ واستنكارٍ موجهة إليه من الله سبحانه وتعالى كما حدث بشأن الصحابى الضرير «عبدالله ابن أم مكتوم» الذى جاء إلى النبى يوماً وهو مشغول بكبار قريش يدعوهم للإسلام فقطع عليه حديثه وقال : علمنى يا محمد مما علمك الله وكرر طلبه فكره رسول الله منه ذلك ، فترل قوله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى . أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يُزَكَّى . أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَعَهُ الذِّكْرَى . أَمَا

(١) الإسراء : ٨٨ . (٢) النجم : ٤ .

(٣) الأعراف : ٢٠٣ .

من استغنى . فأنت له تصدى . إلى قوله تعالى : كلا إنها تذكرة .  
 فمن شاء ذكره ﴿ ثم يسجل عتاباً آخر بشأن ابنة عمته زينب بنت  
 جحش التي كان قد زوجها لابنه بالتبني (زيد بن حارثة) وحينما  
 قضت إرادة الله وحكمة التشريع حفظاً لحقوق الأولاد الصليبين  
 بإبطال التبني فكر النبي بأن يتزوج منها بعد طلاقها من يزيد تعليمياً  
 للناس بحل الزواج من مطلقات أولادهم بالتبني ولكنه خشى انتقاد  
 الناس له ، فنزل قوله تعالى : ﴿واذ تقول للذي أنعم الله عليه  
 وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله  
 مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً  
 زوجناكمها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا  
 قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً . ما كان على النبي من حرج  
 فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً  
 مقدوراً . الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا  
 الله وكفى بالله حسيباً ﴾ (١) .

كما نرد على أولئك المفترين ، بالمعجزات الأخرى بالآيات  
 المدهشة التي حملها القرآن الكريم بين دفتيه ، ألم يقل رسول الله  
 فيه : هو الذي لا تنقضى عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد ؟

(١) الأحزاب : ٣٧ - ٣٩ .



## القرآن والعلم

كانت رسالة الإسلام أول رسالة من السماء إلى الأرض تدعو الإنسان إلى العلم المطلق ، فحركت العقول الجامدة الموثقة بقيود العادات المألوفة والتقاليد الموروثة ، وشرعت لها أبواب المعرفة والتأمل ، واطلقتها من عقالها إلى مجالات الأخذ والعطاء إلى السماء ونجومها ، واقارها ، وافلاكها ، وابعادها وإلى الأرض وما عليها من حيوان ونبات وجاد ، بل إلى النفوس البشرية لاكتناه ما انطوت عليه ، من عقل وجهل ، وحب وحقد وما احتواها من لحم ودم ، واية رسالة سماوية أو أرضية كرسالة محمد كرمت العلم هذا التكریم ، ورعته هذه الرعاية فرفعت من شأنه : «من أخذه أخذ بحظٍ وافر ، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة» ، كما رفعت من شأن العلماء فجعلتهم ورثة الأنبياء ، العلماء الذين كلما امعنوا في استجلاء أسرار الطبيعة واوغلوا في كشف خفاياها ازدادت نفوسهم إيماناً بالخالق و يقيناً بوجوده ، قال تعالى : في مقارنة بين العلم والجهل : ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾<sup>(١)</sup> .

وحسبك أن يكون العلم عنوان هذه الرسالة واستهلالها ، قال

---

(١) الزمر : ٩ .

تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ  
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عِلْمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ .

لم ينس صاحب الرسالة محمد ﷺ المرأة التي هي نصف الأمة  
وجناحها الثاني الذي به تسمو وترتفع فدعاها إلى العلم وساوى بينها  
وبين الرجل في وجوب طلبه ، فقال : « طلب العلم فريضة على كل  
مسلم » أى ومسلمة لأنّ الاطلاق يقتضى الشمول والعموم في حين  
كانت المرأة في الشرق والغرب سلعة تباع وتشترى لا رأى لها ولا  
وزن ، فقد حدثنا التاريخ بأن أحد المؤتمرات التي عقدت في «روما»  
ناقشت قضية المرأة هل أنها تتمتع بروح كالرجل أم أن روحها كروح  
الثعابين والكلاب ؟ وخرج بقرار : أن لا روح للمرأة على الاطلاق  
وأنها لن تبعث في الحياة الأخرى . وفي شريعة الرومان لم يكن للمرأة  
أية أهلية ولا حقوق ، فهي تحت الوصاية الدائمة ، وهى مورثة لا  
وارثة ، بل كانت متاعاً تابعاً للرجل يتزوج من النساء ما يشاء  
ويأخذ صداقهن ، ولا يزال مال المرأة في فرنسا إلى اليوم خاضعاً  
لوصاية الزوج .

أما وضع المرأة في الجزيرة العربية فكان كما وصفه القرآن :  
﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَىٰ  
مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ . أُبْمَسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ  
أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، ثم جاء الإسلام فقضى على هذه المفاهيم  
الخاطئة وأعطى المرأة حقوقها الكاملة ومنحها المكانة اللائقة بها ،

---

(١) النحل : ٥٨ .

وأعاد إليها اعتبارها وحققها السليب وافهم الرجل أنها مخلوقة من نفسه لها عليه واجب الاحترام والتكريم ، فقال تعالى : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون﴾<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾<sup>(٢)</sup> ، فإذا كانت المرأة مخلوقة من نفس الرجل فأى فرق يزعمه دعاة المساواة ؟ لقد كرم الإسلام المرأة أمّا وزوجة وبتناً وأختاً ، فقال رسول الإسلام : «الجنة تحت أقدام الأمهات» ، وقال : «ما أهان المرأة إلّا لثيم وما أكرمها إلّا كريمة» ، وقال : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» وقال : «لا تكرهوا البنات فانهن المؤنسات الغاليات» ، وقال : «بر أمك ثم أباك وأختك ثم أخاك ثم أدناك فأدناك» .

وبعد ، فهذا قليل من كثير مما قاله الإسلام في حق المرأة وقد أوردنا بعضاً منه للدلالة على حكمة الإسلام في إذابة الفروق بين شطري المجتمع بالعدالة والمساواة لكي تنهض الأمة بمناحيها وما أحسن ما قاله الشاعر العربي في هذا الموضوع :

إنما المرأة والمرء سواء في الجدارة  
علموا المرأة فالمرأة عنوان الحضارة

\*\*\*

يرفع الشعب فريقان اناث وذكور

(١) الروم : ٢١ .

(٢) النساء : ١ .

وهل الطائر إلا بجناحيه يطير؟

لقد جاءت الرسالة الإسلامية بالنور والهدى والحق والخير ومع ذلك فقد طلب من محمد ﷺ أن يأتي بالمعجزات يقول الله في ذلك : ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجَرَنَا مِنَ الْأَرْضِ نَبْوَءًا . أَوْ تَكُونَ لَكِ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بَالَهُ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لَوْ قِيكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾<sup>(١)</sup>

لقد جاءهم محمد بالمعجزة الخالدة ولكنهم عموا وصموا ،  
إنه الطبع البشرى الذى لا يتبدل :  
يبصر الحق وهو عنه بعيد  
فإذا صح عابه بالصدود

إنك لتسمع امنيات حارة تتراقص حول القمر والنجوم ، حاملة  
أن تلثم جبهة القمر البيضاء ، وأن تكتحل عيونها بأشعة الكواكب  
وها هو العلم قد حقق هذه الأمنى ، ونسمع مع ذلك من ينتقد  
هذه المعجزات العلمية ، قال تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ  
أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ  
أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>  
وعندما تحققت الأمنية ومشى الإنسان بلحمه ودمه على سطح

(١) الاسراء : ٩١ - ٩٢ - ٩٣ .

(٢) يونس : ٤٢ - ٤٣ .

القمر قال أحد الذين يدعون العلم أو ينتسبون للعلماء إن هذا هو الكفر والتخريف ، هؤلاء لا يريدون أن يروا أثر الخالق على المخلوق ، فقد أنعم الله على الإنسان بالعقل وهو من أكبر نعمه عليه والله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فهل يحدث الإنسان بنعمة الله إلا باستعمال ما وهبه الله من عقل وحواس وقدرة في مصلحته ومصلحة مجتمعه واعمار الأرض التي يعيش عليها ، وفي تلقى العلم والسعى وراء المجهول ليصبح معلوماً ؟ إنه إن فعل ذلك فقد حدث بنعمة الله وأجاب دعوة الله الذي دعاه إلى العلم والمعرفة واكتشاف المجهول في نفسه وفي كل ما خلق الله ، لأن الله سبحانه وتعالى سخر له كل شيء ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وقال : ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾<sup>(١)</sup> ، وقال : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال : ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

هذا الشيخ وأمثاله المنتكرون للإنجازات العلمية أقول فيهم : ولما رأيت الشيخ قلت لعله من العلم والعرفان ملآن بالدر لعل الذي ألقاه يبحث حيرتي ويلقي بها في صحوة النور والفجر وحين سألت الشيخ بعض مسائل أجاب فزاد الأمر سرّاً على سرِّ

(١) لقمان : ٢٠ - ٢٩ . (٢) النحل : ١٢ .

(٣) النحل : ١٤ .

وطاف رحاب الكون شرقاً ومغرباً  
سألت جناب الشيخ عن غزوة الفضاء  
فقلت لهذا الشيخ : كم أنت ظالم  
ألم يمنح الرحمن عقلاً لعبده  
أما سخر الأكوان فضلاً ورحمةً  
سماء وارضاً مشرعات لأجله  
فما قد تراه الكفر في غزوة الفضاء

يحدث بالأحلام والغيب والسحر  
فقال معاذ الله هذا من الكفر  
تفسر روح الدين بالجهل والشكر  
حلّ رموز الكون بالعقل والفكر؟  
فأجرى له الأرزاق في البر والبحر؟  
يعمرها بالخير والحب والبر  
أراه لرب العالمين من الشكر



الباب الثانى  
لافتات السماء  
أو معالم الوحى



## معالم الوحي

إن القرآن الكريم ليس كتاباً علمياً بالمعنى المادى للكلمة هذا ما نقرره قبل كل شيء ، بل هو كتاب روى فيه كل ما يسمو بالإنسان ويصله بالله ، وتشريعى فيه كل ما يحفظ صلة الإنسان بالإنسان ، غير أن القرآن قدس العلم وباركه وجعله مرتكزاً لدعوته ومنطلقاً لها لعلمه أنه لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . فمن العلم أن يفكر الإنسان فى خلق السموات والأرض قال تعالى : ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ (١) . ومن العلم أن يفكر الإنسان فى النبات والجماد والحيوان . ومن العلم أن يفكر فى كل شيء يقع عليه بصره وتحس به حواسه .

ومن العلم أن يفكر الإنسان فى نفسه ، وفى معتقده ليميز بين الحق والباطل والضار والنافع ليكون اقتناعه ذاتياً بما يؤمن به ويعتقده قال تعالى : ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾ (٢)

(١) آل عمران : ١٩١ . (٢) البقرة : ١٧٠ .

لقد أشار القرآن الكريم إلى كثير من الأسرار الكونية إشارةً علميةً موجزةً تتكشف كلما تقدم العلم وتظهر بظهوره ، ذلك لأنه كان مقدراً لنا أن نتولى هذا الاكتشاف فتأخرنا وتقدم غيرنا بعد أن كنا طليعة الأمم حضوراً وحضارة .

من هذه الأسرار ما أشار إليها القرآن مكتشفاً ، أو دافعاً للاكتشاف مرسلأً أمام العقل البشرى أنواره الهادية ، تاركاً له حرية الاستنتاج وفضل السبق وبراءة الاختراع ، ومنها ما أشار إليه متحدياً منكربه بالمعجز من صنعه ، داعياً إلى التفكير فيه كطريق موصل للإيمان ، ذلك لأن كثيرين ممن كذبوا برسالة محمد ﷺ قالوا انها من عنده وانها الشعر ، وانها السحر ، وقالوا فيها أشياء وأشياء فرد الله عليهم متحدياً : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترأه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾<sup>(٢)</sup> ، كما رد عليهم بالآيات المعجزة التي تثبت أنه وحى الله المنزل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن محمداً لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى وانتصر العلم الذى جاء به القرآن فى النهاية وقامت دولة العلم .

وفى عصرنا هذا يطالب الكثيرون بتحديد الدين عن قضايا العصر ويسمون ذلك «علمانية» كما يقلد الكثيرون أعداء الإسلام فى أكاذيبهم فيزعمون أنه لا يتمشى مع نظم العصر الحديثة

(١) يونس : ٣٨ .

(٢) يس : ٦٩ .

ولا يستوعب قضايا الآنية ونقول لهؤلاء المكابرين :

ومن أنكر الأصوات أصواتُ زمرةٍ      توذُّ لو أن الدين في الأرض حُيدا  
يقولون : إن الدين قد بات قاصراً      مقاييسه لا تستر اليوم والغدا  
ينادون «بالتحديث» قلت : رويدكم      ومن قال إن الدين يرضى التجمدا ؟  
ومن قال إن الدين للعلم منكر ؟      «ياقرأ» تعالى الله قرآنه ابتدا  
واطلق للفكر الكسيح جوانحاً      وقال اكشفنى لا أريد المقلدا  
تقولون بالأفواه ما ليس خافياً      فلا حَقُّ الرحمن للكفر مقصدا  
أعيد التحدى مرةً تلو مرةٍ      فهذا كتاب الله جيئوا بأجودا  
فلمستم من الرحمن أدري بخلفه      ولستم رسول الله ، لستم محمداً .  
وذلك أيضاً لأن الذين آمنوا برسالة محمد بدأوا يخططون حينذاك لبناء  
دولة الإسلام فأشارت إليهم أصابع السماء بالآيات اللافتة إلى موقع قوة ، أو  
ممكن سر واختراع ، ليأخذوا بالأسباب التي تقيم هذه الدولة وتركز بنيانها ،  
وحسب الذين يعلمون والذين لا يعلمون أن محمداً كان أمياً :

بدوى واحدٌ هَزَّ الورى

وسرت آياته في العالمين

أمى ، أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وعلمه فأحسن تعليمه ثم قال له :  
انطلق يا محمد إلى الناس رسولاً يعلمهم الكتاب والحكمة ، ﴿وإنك لعلی  
خلقٍ عظیم﴾ فلم تزده هذه الشهادة الإلهية الا تواضعاً لله وسعياً وراء العلم  
وحثاً عليه بل جثا على ركبتيه وأغمض جفنيه وتمتمت شفاته مردداً قوله  
تعالى :

﴿وقل رب زدنى علماً﴾ .

## الدعوة إلى ارتياد الفضاء

إن دعوة الله قائمة منذ أربعة عشر قرناً ونيف لرحلة الإنسان إلى عالم الفضاء قال تعالى : ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> .

قال أكثر المفسرين بأن «لا» صلة مستدلين بقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾ ، وقال بعضهم هي نفي بمعنى ليس الأمر كما تقولون ، وقد يقول الرجل لا والله ما كان كذا فلا يريد به نفي اليقين بل يريد به نفي كلام تقدم ، أى ليس الأمر كما ذكرت وأرى أن «لا» زائدة فقد كان العرب يستعملون هذه الحروف : لا ، وما ، وإن ، دون أن يكون لها أى معنى ، وقالوا : بأن مواقع النجوم مساقطها ومغارها وانكدارها ، وانتثارها يوم القيامة ، وقالوا تعنى نزول القرآن منجماً ، وأرى أنها دعوة أراد الله بها أن يقول لعباده الذين يلهثون وراء أسرار الفضاء انا أدلكم عليها وادعوكم إلى اقتحامها واكتشافها وإن «لو» هذه تفصح عن رغبتى فى دعوتكم إلى هذه المواقع التى أقسمت بها لعظمتها ودقيق صنعها لأنكم حين تشاهدونها ستؤمنون بأن القرآن هو كلمائى ووحىى إلى محمد ، وإن إيمانكم سيتضاعف حيث تتجلى لكم قدرتى وتفردى فى خلق هذا

---

(١) الواقعة : ٧٥ - ٧٦ .

الكون العجيب .

إن الله سبحانه لم يوجه الدعوة إلى عباده دون أن يدلهم على الطريق الذى يوصل هذه الرحلة الفضائية إلى غايتها بنجاح ، وسيأتى بيان ذلك فى موضعه إن شاء الله .

## ريادة الفضاء

أحس بها «غاغارين» ضيقاً في صدره وهو يصعد في الفضاء ، وعاشها دقائق قليلة رهيبة ، كأن أثقالاً من الحديد ألقيت على جسده القوى فبات لا يقوى على الحركة ، وازداد ضغطها الهائل عليه حتى أحس أنه يكاد ينعصر وانفاسه المتعبة الثقيلة كادت تنقلب إلى حشرجة ، لو لا أنه شعر فجأة بانزياح هذه الأثقال ، ليحول جسده إلى عكس ما كان عليه منذ لحظات ريشة لا ثقل لها ولا وزن ، فأيقن أنه بلغ مداره ، وانه افلتت من جاذبية الأرض ، ونظر إلى ما فوقه فرأى السماء مظلمة دكناء مغطاة بالسديم ، والنجوم من خلفها براقّة تتلألأ ، وإلى ما تحته مد بصره الذاهل الحسير ، إلى البقعة الملونة كجناح فراشة ، فرآها مدورة مدحاة ، تستحم بالشمس ، وتندثر بالليل ، تداخل ليلها بنهارها ، واختلط بياضها بسوادها ، وإذا هو يفكر مسحوراً بما رأى كانت ملائكة السماء ترجع آيات الله المرتلة تحملها من عالم الأرض أمواج الأثير .

﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾<sup>(١)</sup>

﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾<sup>(٢)</sup>

ثم عاشها «شبرد» وتيتوف ، وغيرهما من بعده وشعرا بالضيق

---

(١) الزمر : ٥ . (٢) الحديد : ٦ .

والحرج كما شعر ، وآيات الله المرتلة مازالت تخترق الأجواء ، لينة  
حيناً ، وهادرة أحياناً ، ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً  
حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾<sup>(١)</sup> ،

كلمات وآيات دوت ولا تزال عبر الأجيال منذ أربعة عشر قرناً  
لافتات إلى موضع الأسرار في ما خلق الله وفي ما لم يخلق .

آيات اختصرت دروب الحياة المتشعبة الطويلة التي سلكها  
ويسلكها ملايين البشر في طريق واحد سوى ، لا يضل سالكه  
ولا يشقى ، هبط بها رائد الفضاء الأول «جبريل» الأمين على هضبة  
من هضاب مكة الشم حين استفحل شر الأرض وتفاقم طغيانها ،  
وهناك في أرض عربية مقدسة رأت السماء فيها قداستها شهد  
«الغار» المتواضع أول رائد للفضاء يحمل رسالة الله .

ومن الغار المقدس إذن للفجر الزاحف أن يبدد كئيب الظلام ،  
يومذاك اكتحلت عيون البشرية الرمضاء بنور الله حين هتف بها  
جبريل الأمين في مسمع الإنسان الكبير فتلقفها قلب محمد ووعيه كما  
تتلقف أنداء الصباح زهرة ظمأى بيتها الهجير على شوق لاهب .  
﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ  
 وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم﴾ .

ولم يكن محمد الجلد القوى الصبور ليرتعش خشية ورهبة ، ولم  
يكن ليمسح عن جبينه الناصع العريض قطرات من العرق كحب  
الندى المشور ، ولم يدرك في تلك اللحظات الحاسمة خطورة

---

(١) الأنعام : ١٢٥ .

الرسالة الملقاة عليه بأعبائها الثقيلة .

لقد وعى محمد رسالة الإنسان ، الإنسان العظيم الذى أقامه الله منذ الأزل خليفة على أرضه .

الإنسان الجبار الذى غاص إلى أعماق البحار فقهرها واستخرج كنوزها وإلى أعماق الأرض فاستثمر معادنها وخيراتها ، وإلى ما حوله فأنشأ الصروح ، وأثار الظلمات ، وفجر الحياة من الموت ، ثم تطلع إلى السماء بنهم وشوق يسأل نجومها فترتعش حين تلامسها ثورة أفكاره الجارحة .

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (١)

ثم انطلق محمد ﷺ من كهفه السعيد المشرق بلقاء السماء كما تنطلق البشرية إلى قلب حزين تغمره بهجة وحياة ، انطلق إلى شعبه الأمين ، بل إلى عالم كبير تائه فى معابر الأرض الوعرة ، غارق فى ظلمات بعضها فوق بعض ، يحمل فى قلبه ويديه شعلة السماء المقدسة فيمنح النور للأعين الرمداء والبصائر للقلوب المغلقة مردداً بإيمان الرسول الواثق بالله :

---

(١) البقرة : ٣٠ - ٣٢ .



﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ ، بينما كانت آفاق الدنيا تضج  
بتراتيل السماء الخالدة ﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾ (١) .  
ولم تكن معجزة الانفاذ بأقل روعة من معجزة التهيئة والاعداد  
والتحريض حين حرر محمد ﷺ جزيرة العرب من الاستعمار المحقق  
بها ، المحوم حولها ، المستغل خيراتها ، وحرر أبناءها من جاهليتهم  
ومن الفوضى التي عصفت بهم وأغرقتهم في بحر من الدماء  
والدموع ، لينطلق الحفاة العراة الأميون رسل حضارة ومعرفة  
ومحبة ، ورجال دين ودولة في أقل من عشر سنوات ، قال تعالى :  
﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم  
فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم  
منها﴾ (٢) .

هذه الثورة الروحية التي فجرها محمد ﷺ في دنيا العرب  
أجشت أصول الشر وقواعد الشرك ، وزلزلت أصنام مكة الهزيلة  
الباردة القابعة على رفاف الكعبة يعلوها الصدأ ويأكلها الغبار ،  
وانهارت معها أصنام أخرى من لحم ودم ذاهلة أبصارها عالقة  
مسامعها بالاعجاز البليغ الذي يملكه دعاة الدين الجديد :

﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من  
دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً  
لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾ (٣) ، وقام على انقاضها  
جميعاً الإنسان العربي المسلم الجديد المؤمن بحقه وحرته وكرامته ،

(١) الأنبياء : ١٠٧ . (٢) آل عمران : ١٠٣ .

(٣) الحج : ٧٣ .

وكرامته ، المتعلق بإنسانيته الضاربة في رحاب الأرض المتصلة بشعوب الدنيا .

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾<sup>(١)</sup>

«الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله» .

على أن هذه الثورة ما قيص لها أن تمد جذورها في أعماق التربة العربية وغيرها لتصبح بعد ملاوة من الزمن حضارة عريقة ثرية ذات قيمة ووزنٍ وعطاء ، لو لم تساندها جنباً إلى جنب حضارة مادية توازيها عمقاً وأصالة ، قامت على أسسٍ تشريعية وقواعد اجتماعية من عدل وإخاء وحرية ومساواة ، قننت الإيمان بالعمل ، والطيبة بالحذر ، والسلام بالسيف المشرع ، ثم مدت أصابعها باليقين من الوحي إلى المستقبل القريب البعيد لتجرد في عالمه الغيبي بعض أسرار الطبيعة .

إنها على كثرة ما استقطبت من معاني الخير والحق والجمال وعلى ما قطعت من مراحل العمر لا تزال ، وستظل أبداً فتية قوية تزود أعراقنا بالدم الحار وأفكارنا بالمجد والحياة .

---

(١) الحجرات : ١٣ .

## مسألة بدء الخلق

تحدثت رسالة الإسلام عن عملية خلق السموات والأرض في آيات كثيرة نذكر منها قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿قُلْ أَنتَكُمُ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ . ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَتْبِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَخَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾<sup>(٢)</sup> . فالذي يفهم لأول وهلة أن عملية الخلق تمت في ثمانية أيام وليس في ستة غير أن معنى قوله تعالى : ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ ، أن تقدير الأقوات والأرزاق والمصالح وانتهاء شكل الأرض الخارجى من حيث إرساء الجبال وخلق الأنهار والأشجار والدواب استغرق مع يومى الخلق أربعة أيام ثم استوى أى قصد وتوجه إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ما قال ثم خضاهن سبع سموات في يومين فهذه ستة أيام .

وبالمقارنة فإن التوراة ذكرت عملية الخلق في روايتين :

(١) يونس : ٣ . (٢) فصلت : ١٢٩ .

احدهما تبدأ بالقول : « في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلام ، وروح الله يرف على وجه المياه » الفصل الأول من سفر التكوين : ١ - ٢ .  
وفي سفر التكوين : ٣ - ٥ وقال الله : « ليكن نور فكان نور ، ورأى الله النور انه حسن ، وفصل الله بين الظلام والنور وسمى الله النور نهارة والظلام سماه ليلاً وكان مساء وكان صباح يوم واحد » .  
ثم خلق الله في اليوم الثاني الجلد ليفصل بين المياه وفوقها وتحتها وسمى الجلد سماء وكان مساء وكان صباح يوم ثان .

وهكذا تستمر التوراة في قصة الخلق إلى أن تصل إلى اليوم الرابع حيث ورد في سفر التكوين : ١٤ - ١٩ ، وقال الله لتكن نيرات في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين ، وتكون نيرات في جلد السماء لتضيء على الأرض فكان كذلك ، وضع الله النيرين العظيمين ، النير الأكبر لحكم النهار والنير الأصغر لحكم الليل والكواكب وجعلها الله في جلد السماء لتضيء على الأرض ولتحكم على الليل والنهار وتفصل بين النور والظلام ورأى الله ذلك أنه حسن وكان مساء وكان صباح يوم رابع .

وفي اليوم الخامس خلق الله الطيور والزحافات فوق الأرض والحيتان في البحار .

وفي اليوم السادس خلق الله الإنسان والوحوش والبهايم بحسب أصنافها وكل دبابات الأرض .

أما في اليوم السابع فقد فرغ الله من عمله واستراح .

أما في النص اليهودي للمخلق الذي يسبق قرونًا عدة النص الكهنوتي فإنه لا يتعرض لراحة الله التي أدخلها رجال الكهنوت . والذي أثبتته العلم أن مراحل الخلق كما تصفها التوراة غير مقبولة وهي لا تتفق في معظمها مع العلم والحقيقة لأنه بدون شمس لا يكون ليل ولا نهار فكيف خلق الله النور والظلام في اليوم الأول حسب الآية ٣ - ٥ في حين خلق الشمس والكواكب في اليوم الرابع ؟

وقد تابعت الرواية عملية الخلق بترتيب ملحوظ حيث استراح الله في اليوم السابع وكان يوم السبت وكلمة سبت تعني بالعبرية «استراحة» فتعالى الله عما يصفون ،

أما الرواية التوراتية الثانية فهي مكملّة للأولى وقد وردت في سفر التكوين من تاريخ أقدم من الأولى بثلاثة قرون وهي تسرد قصة الإنسان والنبات نذكرها هنا موجزة : «في الوقت الذي صنع يهوه الإله الأرض والسماء لم تكن بعد نبتت شجرة حقل على الأرض ، ولا عشبة حقل ، لأن يهوه الإله لم ينزل المطر عليها ولم يكن فيها الإنسان ليفلحها ، وفجأة ظهرت موجة ماء من الأرض فسقت كل سطحها ، وجبل يهوه الإنسان من طينها ونفخ في منخره نفساً من الحياة وكان الإنسان» .

يرى الكاتب الفرنسي «موريس بوكاي» في كتابه «التوراة والانجيل والقرآن والعلم» أن التوراة حددت يوم الخلق من الصباح إلى المساء أي بالفترة الزمنية بين مطلعين للشمس أو مغربين لها متتابعين بالنسبة إلى ساكن الأرض واليوم المحدد على هذه الصورة

هى نتيجة دوران الأرض حول نفسها فى حين وصف القرآن الكريم اليوم بدورة أو مرحلة زمنية غير محددة بين غروب شمس يوم وغروب شمس يوم آخر ، مستدلاً على ذلك بقوله تعالى : ﴿يُدِير الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾<sup>(١)</sup> ، وأن المقصود باليوم القرائى هو الفترة الضوئية .

إن المسافات بحسب علوم الفلك شاسعة جداً بحيث تقاس بالسنوات الضوئية ، والسنة الضوئية تمثل المسافة التى يقطعها الضوء خلال سنة واحدة وتقدر بقرابة ١٩,٢ مليون كيلومتراً ، وهناك مجموعات ضخمة من النجوم تدعى المجرات ، وتنتمى شمسنا إلى أحداها وفيها قرابة مئة ألف مليون نجم ، ويبلغ امتداد المجرة مئة ألف سنة ضوئية ، كما أن هناك أجساماً أخرى فى السماء غامضة كسحب الغاز ومصادر الطاقة وتلك التى أشار إليها القرآن بالدخان ، وتحتوى المجرة على سحب مشتعلة من الغاز الملوّن الساطع وعلى سحب معتمة تبدو خلفها النجوم ساطعة وتدعى بالسديم .

أما أرضنا فهى كوكب لا يختلف عن مجموعة الكواكب الشمسية الأخرى وهى محاطة بجو مركب من الغازات كمعظم الكواكب الأخرى وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الغازات بقوله : ﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان﴾ ، كما أخبر القرآن

(١) السجدة : ٥ .

الكرّم بأنّ السموات كثيرة والأرضين كثيرة بقوله : ﴿أتينا طائعين﴾ ولو كانت الأرض واحدة والسماء واحدة لقاتلنا اتينا طائعين على حدّ تعبير «موريس بوكاي» ، كما يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿الله الذى خلق سبع سمواتٍ ومن الأرض مثلهنّ يتنزل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيءٍ قدير وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيءٍ علماً﴾<sup>(١)</sup> ، وها نحن نرى أنّ الإنسان اكتشف بأنّ القمر كوكب تراى كأرضنا ولكن يختلف عنها بعدم وجود حياة على سطحه لفقدان الماء والهواء كما ثبت بواسطة المراكب الفضائية أنّ المريخ كوكب تراى أيضاً ولكن لم تكتشف أيضاً حياة فيه ومن يدري ؟ فقد تكتشف سموات كثيرة وأرضون كثيرة ، أما تحديد العدد بسبع سموات وسبع أراضٍ فهو تدليل على الكثرة فقد كان العرب يقولون للتقليل مرة مرتين وللتكثير سبع ثماني مرات .

ولم يقتصر القرآن الكريم على الإشارة بأنّ اليوم يساوى ألف سنة ضوئية بل أشار أيضاً بأنّ اليوم قد يكون خمسين ألف سنة فقال : ﴿تخرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾<sup>(٢)</sup> مما يدلّ على أنّ المسافات الهائلة والأبعاد المتفاوتة بين الكواكب لا يحدها مرصد ولا تطالها مركبة فضائية حتى الآن . لقد تناول القرآن قضية أصل الخلق في آيتين هما قوله تعالى : ﴿أو لم ير الذين كفروا أنّ السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيّ أفلا يؤمنون﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى :

(١) الطلاق : ١٢ . (٢) المعارج : ٤ .

(٣) الأنبياء : ٣٠ .

﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ . ومعنى كانتا رتقاً ففتقناهما أى كانتا مضمومتين ثم فصلناهما ، قال الأقدمون عكرمة ، وعطية ، وابن زيد ، وابن عباس ، أن السموات كانت رتقاً لا تمطر والأرض رتقاً لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات واختار هذا القول الطبرى ، وقال بعض العلماء الرتق ضد الفتق وإن الله خلق السموات والأرض بعضها على بعض ثم فصل وبهذا قال «كعب» و«مجاهد» و«أبو صالح» ، والعلم الحديث يؤكد أن الاجرام السماوية كانت دخاناً أى غازات ثم تجمدت كتلة واحدة - لأن الدخان كما عرفه العلم الحديث مؤلف من أصل غازى مشوب بذرات دقيقة لها إمكانية الانتماء إلى حالات المادة الجامدة والسائلة - ثم انفصل بعضها عن بعض اجراماً متفرقة .

لقد وردت قصة الخلق فى التوراة بشيء من التتابع والتناقض مع الحقائق العلمية كما قلنا ، أما فى القرآن الكريم فهناك آية واحدة تشير إلى التتابع قال تعالى : ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ <sup>(١)</sup> فقد بدأ الله سبحانه وتعالى بالسماء وذلك يعنى أن الشمس هى أم الأرض وسائر الكواكب الأخرى وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة

(١) النازعات : ٢٧ .



للمتقين ﴿<sup>(١)</sup>﴾ ويقول سبحانه : ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ  
وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا  
 مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ <sup>(٢)</sup> ، كل هذا يتفق مع الحقائق  
العلمية المعاصرة خلافاً لما كان سائداً قبل عصر النبي ﷺ وخلافاً لما  
ذكرته التوراة مما يثبت أنه وحى الله الذي لا يأتيه الباطل من بين  
يديه ولا من خلفه .

---

(١) هود : ٤٩ .

(٢) البقرة : ١٦٤ .

## ميزان السماء

لقد ذكر الله سبحانه السماء ووصفها بالدنيا في عدة مواضع من القرآن الكريم لقرنها إلينا وأنه زينها بالمصابيح والكواكب فقال : ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾<sup>(١)</sup> وأنه رفعها بغير عمد فقال : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾<sup>(٢)</sup> ، وهذا ينقض العقيدة التي ترى أن السماء لا تنهض بغير عمد وأنه رفعها ووضع الميزان وقال : ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾<sup>(٣)</sup> ، قيل في تفسير الميزان : بأنه العدل ، وقيل : أنه القرآن وهو قول الحسين ابن الفضل ، وقيل : هو الميزان المعروف الذي يوزن به ليتصف الناس به بعضهم من بعض ، والذي أراه أن هذه الآية مرتبطة بالآية التي سبقتها وهي قوله تعالى : ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحَسَابٍ﴾ التي قال فيها بعض المفسرين : يعنى أنهما يجريان بحساب معلوم ، وقال ابن عباس وقتادة وأبو مالك يجريان بحساب في منازل لا يعدوانها ولا يجيدان عنها ، وقال آخرون : بهما تحسب الأعمار والآجال ، وقال السدى : أى يجريان لأجل مقدر كآجال الناس فإذا جاء أجلها هلكا . وأرى أن حساب الشمس والقمر وميزان السماء كلها تدل على شيء واحد هو نظام الجاذبية المتوازن

(١) الصافات : ٦ . (٢) الرعد : ٢ .

(٣) الرحمن : ٧ .

الذى يمسك الكواكب والبروج والشموس والأقمار فى أفلاكها  
وحق المحيطات والبحار فلا تطفى على ما حولها من أرض مصداقاً  
لقوله تعالى : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾<sup>(١)</sup> ،  
والبرزخ الحاجز الذى يفصل بين بحرین ويصل البر بالبر وكلما كانت  
الأجرام السماوية متقاربة أثر بعضها على بعض كما يؤثر القمر عند  
اقتربه من الأرض على البحر فيحدث المد والجزر هذا النظام  
المحسوب هو الذى يبقی هذه الأجرام متماسكة فى مداراتها  
للمسافات الشاسعة بينها وفقاً لنظرية «نيوتن» فى قانون الجاذبية  
ومصداقاً لقوله تعالى : ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا  
الليل سابق النهار وكلّ فى فلك يسبحون﴾<sup>(٢)</sup> .

أما الميزان الذى توزن به الأشياء والمكيال فقد ذكره الله سبحانه  
فى آية تالية فقال : ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾  
أى ولا تنقصوه وذلك تمشياً وانسجاماً مع المعنى الذى يحقق التوازن  
بين الموزون وقيمه .

(١) الرحمن : ١٩ .

(٢) يس : ٤٠ .

## الجاذبية

تعالوا معي يا رواد الفضاء .

تجردوا عن كل ميل وهوى .

ثم اشهدوا كيف تعرت السماء لعيني «محمد» ﷺ

قال تعالى : ﴿مَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (١) .

لقد فسر العلماء الأقدمون هذه الآية ، بأن من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ومن لم يرد به خيراً ضيق صدره وأبعد فهمه فلم يفقهه ، وقد سأل ابن مسعود رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله وهل ينشرح الصدر؟ فقال نعم يدخل القلب نور فقال : وهل لذلك من علامة ؟ فقال رسول الله : التجافي عن دار الغرور والاناة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت ، وفسروا قوله تعالى كأنما يصعد في السماء بأن الله شبه الكافر في نفوره من الإيمان وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه كما أن صعود السماء لا يطاق وكان الكافر من ضيق صدره كأنه يريد أن يصعد إلى السماء وهو لا يقدر على ذلك .

---

(١) الأنعام : ١٢٥ .

هذا بعض ما قالوه ولكن أليست هي الجاذبية التي تتنازع  
 الصاعد إلى السماء وتشده إلى الأرض ؟ فن أوحى إلى محمد ﷺ  
 بهاتين الشدتين الجاثمتين على الصاد والعين في «بصعد» كى تعبيرا  
 تعبيرا قويا عما يلاقيه الصاعد إلى أعلى من شدة وهول ؟  
 أليس ذلك صحيحاً يا «غاغارين» ويا «غلين» ؟  
 والسماء المزينة بالأقمار والنجوم ، ألم ترياها مظلمة قائمة رغم  
 نجومها واقارها ؟ فاسمعا إذا :

﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما  
 سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾<sup>(١)</sup> ، لقد فسر الأقدمون  
 المعارج بالمصاعد من عرج يعرج أى صعد ، وأنَّ المشركين لو  
 صعدوا إلى السماء وشاهدوا الملكوت والملائكة لأصروا على الكفر .  
 وفسروا قوله تعالى : ﴿سكرت أبصارنا﴾ أى سدت بالسكر ،  
 وقال بعضهم عميت وأخذت ، وغشيت وغطيت ، ونحن نقول ما  
 أصدقه من وصف مطابق للحقيقة والواقع وما أروع كلمة «ظلوا»  
 تترامى بين حروفها المسافات الطويلة والابعاد المذهلة بين جرم  
 وجرم ، بل آية موافقة مذهشة بين ما رأيتما<sup>(٢)</sup> فى ملكوت السموات  
 وبين هذا الوصف الدقيق فى قوله تعالى : ﴿كأنما سكرت أبصارنا﴾  
 وهل ترى الأبصار المطبقة غير الظلام ؟ ذلك هو ما رأيتما «السديم  
 المعتم» الذى تبدو خلفه الكواكب ساطعة براقة والشمس متوهجة  
 الأشعة تلتقى على سطح القمر ظلالاً قائمة .

(١) الحجر : ١٥ .

(٢) الضمير يعود إلى رائدى القضاء الأولين : «غاغارين وغلين» .

## دورة الشمس والقمر

من قال لمحمد إن للأجرام السماوية مدارات وأفلاكاً لا تتعدها  
وان كلاً منها ما يدور في فلكه حول نفسه أو حول غيره بتوقيت  
ونظام مدهشين ، قال تعالى : ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك  
تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون  
القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار  
وكل في فلك يسبحون﴾<sup>(١)</sup> .

للمفسرين في هذه الآية أقوال كثيرة ، قال الكلبي وغيره : أى  
تجرى إلى أبعد منازلها في الغروب ثم ترجع إلى أدنى منازلها ،  
فستقرها الموضع الذى لا تتجاوزه بل ترجع منه كالإنسان يقطع  
مسافة حيث يبلغ أقصى مقصوده فيقضى وطره ثم يرجع إلى منزله  
الأول الذى ابتداء منه سفره ، وعلى تبليغ الشمس أقصى منازلها وهو  
مستقرها إذا طلعت «الهيعة» وهى منزل من منازل القمر فإن ذلك  
اليوم أطول أيام السنة «خمس عشرة ساعة ، وتلك الليالى أقصر  
الليالى «تسع ساعات» حتى إذا طلع «الفرغ المؤخر وهو منزل من  
منازل القمر أيضاً استوى الليل والنهار فيأخذ الليل من النهار كل يوم  
عشر ثلث ساعة ، وكل عشرة أيام ثلث ساعة ، وكل شهر ساعة ،

---

(١) يس : ٣٨ - ٤٠ .

حتى يستويا ، ويأخذ الليل من النهار حتى يبلغ خمس عشرة ساعة ، ويأخذ الليل من النهار كذلك .

وقال الحسن : إن للشمس ثلاثمائة وستين مطلعاً تنزل في كل يوم مطلعاً ثم لا تتركه إلى الحول فهي تجرى في تلك المنازل وهي مستقرها .

وقال ابن عباس : إن الشمس إذا غربت وانتهت إلى الموضع الذى تتجاوزه استقرت تحت العرش إلى أن تطلع ،

وقال «موريس بوكاي» في تفسيره هذه الآية : ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ إلى قوله ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ إنها ذكرت بوضوح شيئاً أساسياً وهو الأفلاك للقمر والشمس ، كما أنها أشارت إلى انتقال هذين الجرمين في الفضاء بحركة منظمة وخاصة ، لقد اقلقت هذه الآية الشراح القدامى الذين لم يكونوا يتصورون جريان القمر والشمس الدائرى فتخيلوا صوراً مختلفة لهذا الجريان .

ويقول «بوكاي» أيضاً أن المفهوم المنتشر عن القمر في أيامنا إنه تابع للأرض يدور حولها دورة تطول «تسعة وعشرين يوماً» وإن علم الفلك حدد مستقر الشمس الذى أشار إليه القرآن الكريم وإعطاء إسم «أبيكس» ( ) فالنظام يتحرك في الفضاء نحو نقطة محددة مركزية من مجموعة نجوم «هيركيل» وإن ما ذكره القرآن الكريم موافق للحقائق العلمية ، آه .

إن ما استقر عليه العلم الحديث أن الشمس تتحرك حول نفسها وكأنى باللام في «لمستقر» هى المحور الذى تدور حوله الشمس ولو كان الأمر غير ذلك لاستعملت إلى مكان اللام كما أن كلمة مستقر

تساعد على تأكيد هذا المعنى ، والشمس تكمل دورتها حول نفسها في خمسة وعشرين يوماً ولإتمام هذه الدورة يقتضى مئتين وخمسين مليون سنة تقريباً مع العلم أن سرعة الشمس في تنقلها تبلغ مئتين وخمسين كيلومتراً في الثانية .

أما القمر فقد خففت جاذبية الأرض من سرعة دورانه حول نفسه عبر آلاف السنين فهو يدور الآن دورة حول نفسه خلال دورة كاملة حول الأرض في تسعة وعشرين يوماً ونصف اليوم ، ولا نرى منه إلا وجهاً واحداً هو الجهة القريبة منا ، أما الجهة البعيدة فقد صورتها المركبات الفضائية وفيها فوهات بركانية أحدثتها الشهب الكبيرة المتساقطة على مر ملايين السنين وليس فيها إلا بحر واحد كما يسمونه (أى سهل واسع) ،

وكذلك فإن الأرض تتحرك وتدور بسرعة حول نفسها وحول الشمس وستظل جميعها تدور وتدور في مداراتها حول الشمس إلى أن يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات غير السموات ، يقول العالم الكبير ، «اسحق نيوتن» كل شىء متحرك بسرعة يبقى على سرعته ما لم تنله قوة تغيره .



## تداخل الليل والنهار والتكوير

قال تعالى : ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ ، وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾ ، يقول ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتاده ، والسدي ، في معنى قوله تعالى : ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ﴾ أى يدخل ما نقص من أحدهما في الآخر حتى يصير النهار خمس عشرة ساعة وهو أطول ما يكون ، والليل تسع ساعات وهو أقصر ما يكون ، وكذا يولج النهار في الليل ، أى يدخل أحدهما في الآخر .

وروى عن ابن مسعود انه قال إن ألفاظ الآية تحتمل أن يدخل فيها تعاقب الليل والنهار كأن زوال أحدهما ولوج في الآخر . وقال الضحاك في تفسير «يكور» الآية أى يلتقى هذا على هذا ، وهذا على هذا - وتعنى جملة هذا على هذا في اللغة طرح الشيء بعضه على بعض - يقال : كور المتاع أى ألقي بعضه على بعض ومنه كور العمامة

وقيل تكوير الليل على النهار تغشيته إياه حتى يذهب ضوءه ويغشى النهار على الليل فيذهب ظلمته وهذا قول قتادة استمده من قوله تعالى : ﴿يَغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا<sup>(١)</sup>﴾ ، إن الذى شاهده رواد الفضاء وسجلته آلات التصوير في عصرنا

---

(١) الأعراف : ٥٤ .

يثبت التداخل الذى أشار إليه القرآن الكريم ، فالشمس تضىء باستمرار نصف الفضاء الفلكى المحيط بالأرض المواجه لها ، فى حين يظل النصف الآخر غارقاً فى الظلام ، وفى نفس الوقت الذى تدور فيه الأرض حول نفسها وتبقى الاضاءة ثابتة فإن منطقة مضاءة على شكل نصف فضاء فلكى تؤدي دورتها حول الأرض فى مدة أربع وعشرين ساعة بينما يكمل الفضاء الفلكى المظلم نفس الدورة فى مثل تلك المدة من الزمن ، هذه الدورة المستمرة للنهار والليل ، كاملة الوصف فى القرآن الكريم وهو قد عبر عنها كما لو كان الناس فى ذلك العصر قد تصوروا كروية الأرض فى حين لم يكن الأمر كذلك .

## تعدد المشارق والمغارب

قال تعالى : ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون﴾<sup>(١)</sup> ،

وقال : ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾<sup>(٢)</sup> .

قال المفسرون الأقدمون في هاتين الآيتين كلاماً كثيراً ، فابن عباس قال : للشمس كل يوم مشرق ومغرب ، وذلك أن الله تعالى خلق لها ثلاثمائة وخمسة وستين كوة في مطلعها ومثلها في مغربها على عدد أيام السنة الشمسية ، تطلع في كل يوم في كوة منها وتغيب في كوة ، لا تطلع في تلك الكوة إلا في ذلك اليوم من العام المقبل ، ولا تطلع إلا وهي كارهة فتقول : لا تطلعي على عبادك فإني أراهم يعصونك ، ذكره أبو عمر في «التمهيد» ، وابن الأنباري في كتاب الرد عن عكرمة .

ونكتفي بما قاله ابن عباس لنقدم أحد العلماء المعاصرين «فهريس بوكاي» ، الذي يقول :

«إن من يلاحظ مشارق الشمس ومغاربها يعرف جيداً أن الشمس حسب الفصول تشرق من نقاط مختلفة في المشرق ، وتغرب في نقاط من المغرب ، فقد اتفق في كل أنحاء الدنيا على علامات تحدد نقاطاً قصوى تثبت مشرقين ومغربين تتركز بين كل

(١) المعارج : ٤٠ . (٢) الرحمن : ١٧ .

منها على مدى طول السنة نقاط متوسطة» .

أما منازل القمر التي ذكرها - الله في هذه الآية فقد قال  
المفسرون إنها ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة فيها بمنزل  
وهي :

الشرطان ، البطين ، الثريا ، الدبران ، الهقعة ، الهنعة ،  
الذراع ، النثرة ، الطرف ، الجبهة ، الخراتان ، الصرفة ، العواء ،  
السماك ، الغفر ، الزبانيان ، الاكليل ، القلب ، الشولة ،  
النعام ، البلدة ، سعد الذابح ، سعد بلع ، سعد السعود ، سعد  
الأخبية ، الفرغ المقدم ، الفرغ المؤخر ، بطن الحوت .

ويسمى بعضها بـ «البروج» ، ومعنى البروج لغة : الظهور ومنه  
تبرج المرأة باظهار زينتها ، وقال الحسن وقتادة : البروج :  
النجوم ، وسميت بذلك لظهورها وارتفاعها .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا  
لِلنَّازِطِينَ﴾<sup>(١)</sup> ، يقول ابن عباس في تفسير ذلك بأن بروج الشمس  
والقمر يعنى منازلها وأسماء هذه البروج : الحمل ، والثور ،  
والجوزاء ، والسرطان ، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ،  
والعقرب ، والقوس ، والجدي ، والدلو ، والحوت ، وقال  
بعضهم هى : عطارد ، والزهرة ، والمريخ ، والمشتري ، وزحل ،  
وثلاثة كواكب أخرى ، عرفت حديثاً ، هى أورانوس ونبتون  
وبلوتون .

---

(١) الحجر : ١٦ .

وكان العرب يعلقون أهمية على مواقع النجوم التي يستدلون بها على الطرقات والأوقات والخصب والجذب ، قال تعالى : ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾<sup>(١)</sup> ،

هذه المواقع أى المنازل المشار إليها تعنى مراحل جريان الشمس والقمر على النحو الذى ذكرناه وأن أسماء المنازل هى أسماء عربية وضعها العرب كمشاجب للذاكرة تساعد على معرفة ما سبق بيانه ، وهى أثر من آثار الحضارة العربية قبل ألوفا السنين فهم الذين سموا الأسبوع وقسموا الأيام إلى أسابيع وقسموا الأسبوع الواحد على مطالع الكواكب من الشمس إلى الزهرة إلى الكوكب السابع . ومن العجيب أن يحتفظ الغرب بهذا الأثر فى تسمية أيام الأسبوع دون الأمم الشرقية فيسمون يوم الأحد يوم الشمس ، ويوم الاثنين يوم القمر ، ويوم الثلاثاء يوم المريخ ، ويوم الأربعاء يوم عطارد ، ويوم الخميس يوم المشتري ، ويوم الجمعة يوم زحل ، وهكذا فإن أمم العالم تسمى أيامها بأسماء عربية .

أما العلماء المعاصرون فيقولون بأن البروج ليست مضيئة بذاتها مستدلين على ذلك بقوله تعالى : ﴿وزيناها للناظرين﴾ وسيأتى بيان ذلك .

---

(١) النحل : ١٦ .

## النور والضياء

قلنا إن إشارات الوحي هذه تظهر كلما تقدم العلم وها هو الكاتب الفرنسى «موريس بوكاى» يعطى على ضوء العلم الحديث تفسيراً لقوله تعالى : ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا﴾<sup>(١)</sup> ، فيقول ما خلاصته : إن هذه الآية تعنى ، ان الشمس جرم مضى بذاته ، والقمر جرم منير بغيره ، ويوضح ذلك بقوله تعالى : ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاج كإنها كوكب درى﴾<sup>(٢)</sup> ، فالمراد هنا أيضاً انعكاس الضوء على الزجاج كانعكاس نور الشمس على القمر ، ويقارن «بوكاى» بين وصف التوراة للشمس والقمر ووصفها فى القرآن الكريم فيقول : فى الوقت الذى وصف فيه التوراة الشمس والقمر بالنيرين مضيئة إلى أحدهما صفة الكبر وإلى الثانى صفة الصغر كان القرآن ينسب إلى كل منهما امتيازات أخرى غير امتياز الحجم ، ولكن كيف نبين لأناس هذا العصر دون أن نوقعهم فى الحيرة والضلال أن الشمس والقمر ليسا نيرين من طبيعة واحدة ؟

الجواب على ذلك يقول «بوكاى» بأن الضياء المنسوب للشمس

---

(١) يونس : ٥ . (٢) النور : ٣٥ .

مأخوذ من المصدر ومعناه كما يوضح القاموس : أضاء لمع ، أشعّ ، فالشمس نجم يرسل عن طريق اشتعالاته الداخلية حرارة شديدة كما أن ضوء السراج ناتج عن اشتعال الوقود الداخل فيه ، فقد وصف الله الشمس بالسراج ، فقال : ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجاً﴾<sup>(١)</sup> .

ويتابع «بوكاي» فيقول : وهكذا يتقرر لدينا من جديد أن حقائق القرآن الكريم العلمية كما شرحناها تدل جميعها على أن نصوص القرآن الكريم لا دخل ليد البشر فيها وأنها وحى لا شك فيه ، لقد ادهشتني في البداية هذه الصورة العلمية الخارقة الخاصة بالقرآن الكريم إلى حد بعيد لأنني لم أكن أظن أبداً أنه يمكن حتى هذا الزمن أن نكتشف في نص مكتوب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً عدداً من اليقينيات المتصلة بموضوعات شديدة التنوع ومتفقة تماماً مع المعارف العلمية الحديثة ، ولم يكن لدى في البدء أى إيمان بالإسلام ، وقد بدأت باختبار هذه النصوص بموضوعية كاملة وبفكر متحرر من كل حكم مسبق ، وإن كان ثمة من تأثير يمكن أن يمارس على فهو تأثير التعليم الذى تلقينته في شبابه عندما لم يكن الناس من حولى يتكلمون عن المسلمين بل عن المحمديين لصرف فكر السامع إلى أن الدين المتحدث عنه مؤسس من إنسان ، وكنت كالكثيرين في الغرب يمكن أن أحتفظ بهذه الأفكار الخاطئة عن الإسلام ، والمتشرة إلى حد بعيد في أيامنا ، حتى كنت أدهش دوماً عندما أصادف - فيما عدا الاختصاصيين - محاورين مستنيرين في

---

(١) نوح : ١٥ - ١٦ .

هذه النقاط ، واعترف بأننى كنت شديد الجهالة قبل أن أكون صورة عن الإسلام مختلفة عن تلك المعطاة فى الغرب) إنتهى كلام بوكاى .

لقد مشى الإنسان على سطح القمر وكشف حقيقة ما كان يظن أنه ملهم الشعراء والأدباء والكتاب فى قصائدهم ومقالاتهم حيث يتغنون بنوره وجماله وصفائه أو يشبهون من احبوا به كقول الشاعر :  
يا من يسائل عن «فوز» وصورتها إن كنت لم ترها فانظر إلى القمر  
هذا الوصف أصبح اليوم باهتاً لكون القمر عبارة عن قطعة من تراب وحجر تنعكس عليه أشعة الشمس فينقلها إلى الأرض . على أننا نلقت إلى ما فات «موريس بوكاى» من تمة الآية : ﴿الله نور السموات والأرض﴾ حيث قال الله : ﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم﴾ .

لقد ذهب المفسرون القدامى مذاهب شتى فى تفسير هذه الآية ومن الطبيعى أن تختلف أقوالهم لعدم توافر المعطيات العلمية الحديثة لديهم حينذاك ونكتفى بما قاله الحسن : ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا وإنما هو مثل ضربه الله لنوره ولو كانت فى الدنيا لكانت إما شرقية وإما غربية .

وأرى أن الله سبحانه يعنى بنوره : النور الذى خلقه كما نقول : خلَقَ اللهُ : أى صنع الله إذ ليس من المعقول أن نقول أنه هو نفسه نور وهو خالق النور «ليس كمثله شىء» ويشبه الله سبحانه هذا النور



بكلمة «مثل» بالمصباح والزجاجة تقريباً لافهامنا بالمحسوس الذى ندركه ثم يشبه الزجاجة بعد إضاءة المصباح بالزيت الذى يكاد يضى دون أن تمسه النار (بالكوكب الدرى) لوجه الشبه بينهما من حيث الالتماع والإضاءة ، وحينما وضحت الصورة نرى الله سبحانه وجود الشجرة وزيتها المحسوسين ، فقال : لا شرقية ولا غربية ثم قرر النتيجة بقوله : «نور على نور» وهذا دليل على أن الكوكب الدرى وهو الشمس التى تضىء من دون سائر الكواكب هى مضيئة بذاتها .

## الماء فى القرآن الكريم

تعددت الآيات التى تذكر الماء فى القرآن الكريم ، ولكن الحقيقة البارزة هى تركيزها على أن الماء أصل الحياة أو هو سببها ، قال تعالى : ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾ ، حيث لا سبيل إلى الحياة بدونه ، وقد ثبت حديثاً بما لا يقبل الشك أن الكواكب التى لا ماء فيها ، لا حياة فيها ، وفى كل مرة من هذا التعدد يقرر القرآن الكريم حقائق جديدة عن الماء تختلف عن تلك المفاهيم التى كانت سائدة قبل عصر النبى بأجيال وفى عصره أيضاً فقد كان الناس فى القرن السابع قبل الميلاد يعتقدون بأن الرياح تدفع مياه المحيط فتسقط على الأرض ثم تتسرب فى التربة ، وإنها تعود بعد ذلك إلى المحيط من خلال هوة كبيرة تسمى «التتار» وكان «افلاطون» من مؤيدى هذا رأى كما كان «ديكارت» من القائلين به أيضاً ،

وكان «ارسطو» يفترض أن بخار ماء الأرض يتكيف فى فجوات بارزة من الجبال ويكون البحيرات الجوفية التى تغذى الينابيع ، ولم تتضح الفكرة عن المياه الجوفية إلا سنة ١٥٨٠ ميلادية حيث أثبت «برنارباليسى» أنها ناتجة عن تسربات مياه المطر فى التربة .

أما القرآن فقد نظر إلى ذلك نظرة مختلفة ، فقال إن المطر ينزل من السحاب وحدد السحاب الذى يمطر بالمعصرات والركام ،

فقال : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا . لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا .  
وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾<sup>(١)</sup> ، وقال : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ  
بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال بعض المفسرين : إن المعصرات هي الرياح التي تعصر  
السحاب ، وقال آخرون : إنها السحاب التي تنعصر بالماء ولم تمطر  
بعد ، فإذا أصبحت ركاماً انصب المطر منها ، ومعنى ركام أى  
مجتمع بعضها فوق بعض بدليل قوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ  
السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾<sup>(٣)</sup> أى متراكم بعضه فوق  
بعض ، وهذا شرط أساسى لتزول المطر قرره القرآن الكريم ، ثم لا  
يمكن أن يكون هذا التراكم مقصوداً به اللقاح الذى يجعل من  
السحاب العقيم الذى لا يمطر سحاباً مثقلاً بالماء ، قال تعالى :  
﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ  
لَهُ بِخَازِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ، كما يمكن أن يكون المقصود به نقل الطلع من  
زهرة أنثى إلى زهرة ذكر لإنتاج الثمر؟

كذلك قرر القرآن الكريم سلوك الماء بعد نزوله من السحاب  
ودوره فى تكوين ينابيع الأنهار والعيون ، فقال : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ  
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا  
مُخْتَلَفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٥)</sup> ، كذلك قرر دور الريح فى إثارة  
السحاب وحمله إلى الأنحاء فقال : ﴿وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ

(١) النبأ : ١٤ - ١٦ . (٢) النور : ٤٣ . (٣) الطور : ٤٤ .

(٤) الحجر : ٢٢ . (٥) الزمر : ٢١ .

سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك  
النشور»<sup>(١)</sup> ،

كذلك أفهمنا الله سبحانه أن السحاب مسخر بين السماء  
والأرض ، فقال : ﴿وتصرف الرياح ، والسحاب المسخر بين  
السماء والأرض إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾<sup>(٢)</sup> .  
كذلك قرر القرآن الكريم حقيقة علمية وهى دور الرياح فى  
حمل السحاب من مكان إلى مكان ، فقال : ﴿والله الذى أرسل  
الرياح فتثير سحاباً﴾ «وهى الآية السابقة» .

ثم ألم يسخر الله لسليمان الريح تحمله على بساط هو وحاشيته  
حيث أراد ، قال تعالى : ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء  
حيث أصاب﴾<sup>(٣)</sup> . وهذا إشارة إلى إمكانية استخدام الإنسان  
للريح بإذن الله وما موجات الراديو واللاسلكى والاتصال بالمراكب  
الفضائية والتحكم بمسيرها من الأرض إلّا نوع من هذا  
الاستخدام .

وكذلك تحدث القرآن الكريم عن البحار والأنهار والسفن التى  
تمخرها والأسماك والحلى التى تستخرج منها ، والبرايز التى تفصل  
بينها متناولاً الأشياء الدقيقة التى لم تكن معروفة ، قال تعالى :  
﴿وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون . وخلقنا لهم من  
مثله ما يركبون . وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقنون .  
إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين﴾<sup>(٤)</sup> ، وقال : ﴿وما يستوى البحران

(١) فاطر : ٩ . (٢) البقرة ١٦٤ .

(٣) ص : ٣٦ . (٤) يس : ٤١ .

هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون  
لحمًا طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها» (١) ،

إن آية من آيات الله المنزلّة بهذا الشأن جعلت المستر «براون»  
وهو ربان باخرة كانت تعمل بين بريطانيا والهند يقول : إني أعتقد  
أن ما في القرآن الكريم لم يكن إلّا وحياً من الله تعالى لهذا النبي  
العظيم ، وقصة ذلك الرّبان أنه وصلت إليه نسخة من ترجمة القرآن  
الكريم فعكف على مطالعتها واستوقفه قول الله تعالى : ﴿مروج  
البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وله الجوار  
المنشآت في البحر كالأعلام فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ ؟ ولكنه  
ذهل حينما قرأ قوله تعالى : ﴿أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من  
فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج  
يده لم يكده يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ (٢) ، ولم  
يكده ينتهي من قراءتها ، حتى أسرع إلى علماء الهند يسألهم : هل  
ركب نبيكم محمد البحر وسافر فيه ؟ فأجابوا : كما هو الواقع كلا إن  
محمدًا لم يركب البحر قط ولم يدخل سفينة تجرى فيه فقال : هذا  
وحي الله أنزله على نبيكم العظيم ، كيف لا وقد أصبح معروفاً الآن  
أن أعماق البحار والمحيطات أشد ظلاماً من ظلام الليل فعلى  
سطوحها يبدو نور الشمس ثم يقل تدريجياً حتى إذا بلغ الغاطس في  
البحر نحواً من ٤٥٠ متراً اختفى النور كله فلا تكاد تحسه العين ولا  
تحس العين بعد ذلك شيئاً في الظلام الدامس .

(١) فاطر : ١٢ .

(٢) النور : ٤٠ .

## عالم الملائكة والجن

تقول الرسالة : إن في السماء والأرض أحياء غير الإنسان ، من ملائكة وجن ، قال تعالى : ﴿ افغفر دين الله يغبون وله اسلم من في السموات والأرض ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقال : ﴿ تسبّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقال : ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ <sup>(٣)</sup> ،

إن الملائكة أجسام من نور لا يأكلون ولا يشربون وإن الجن مخلوقات من نار وما أطلق الجن إلا على مستتر خفي .

فسر العلماء قوله تعالى : ﴿ من فيهن ﴾ أنه يريد الملائكة والانس والجن ، ومن يدري فقد تتحقق المعجزة وينكشف السر إذا قدر للعلم أن يتابع خطواته حثيثاً في السماء ولعل « غاغارين » وغيره من رواد الفضاء وهم في غرفهم الطائرة أقرب الناس تصديقاً بهؤلاء الجنود الكامنين في السماء والأرض الذين كلّفهم الله بمهمات سامية في الأرض والسماء ، قال تعالى : ﴿ وأنزل جنوداً لم تروها ﴾ <sup>(٤)</sup> ، ولو أنهم اطلعوا على القرآن الكريم لكانوا اسبق الناس فهماً لقوله تعالى : ﴿ وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما

(١) آل عمران : ٨٣ . (٢) الإسراء : ٤٤ .

(٣) الذاريات : ٥٦ . (٤) التوبة : ٢٦ .

لا تعلمون<sup>(١)</sup> ،

وهذا يعنى أن الله سبحانه قادر على أن يخلق الإنسان على صورته الحالية أو على الشكل الذى يريده فيكون الأحياء من الجن والملائكة فى الأرض والسماء على غير الصورة التى نحن عليها وإذا كان الإنسان لم يكتشف نفسه بعد ولم يدر حقيقة بعض ما فيه كالصوت مثلاً ، هذا الصوت الذى ينداح فى الآفاق كما إذا رميت حصاة فى ماء ، فإن الخطوط الدائرية التى تنتج عنها تظل تتسع إلى نهاية الماء ، وكذلك الصوت فإنه يظل سابحاً فى الفضاء إلى ما لا نهاية ، كما أنه لم يدر ما حقيقة روحه التى قال فيها رب العالمين ، ﴿وَسْأَلُونَا عَنْ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٢)</sup> ، فكيف يتسنى له أن يدرك كنه الملائكة والجن الذين هم من عداد مخلوقات الله التى لا تحصى ؟ فتبارك الله أحسن الخالقين .

يقول علماء الفضاء : إن التحدث مع كائنات فى عالم الفضاء سيستغرق وقتاً طويلاً ولم نستطع الاتصال فيما بيننا إلا بالإشارات اللاسلكية التى تنقل بسرعة الضوء ، ولذا فإن رسالة لاسلكية نرسلها من عالمنا الأرضى تستغرق ثلاثمائة سنة لكى تصل إلى أحد نجوم المجرة ، ولكى يصلنا جواب فورى ، علينا أن ننتظر ستمائة سنة ، وإن السفر إلى النجوم قد يتم فى المستقبل البعيد فلا شئ أسرع من الضوء ولذا فإن الرحلات ستستغرق قروناً حتى فى أفضل

(١) الواقعة : ٦٠ - ٦١ .

(٢) الإسراء : ٨٥ .

المركبات الفضائية المتنقلة بين النجوم .  
غير أن البحث يجري الآن لمعرفة ما إذا كانت هنالك كائنات  
تتمتع بالذكاء في أماكن أخرى من الكون ، وما برح علماء الفلك  
يدرسون الاشارات اللاسلكية التي تصلنا من النجوم ولكنهم لم  
يستطيعوا أن يكتشفوا حتى الآن ما إذا كانت تتضمن أية رسالة .  
وهناك رسالة بشكل صورة في طريقها الآن إلى الكواكب  
البعيدة على متن المركبات الفضائية «بايونير» و «فويجر» وكل مركبة  
أيضاً تحمل اسطوانة مسجلة ، والرسالة اللاسلكية هذه لن تكون  
بالانكليزية أو غيرها من اللغات بل مجموعة من الاشارات التي تمثل  
أرقاماً وأشكالاً ، هذا ما يقوله علماء الفضاء في عصرنا فهل  
سيساعد العلم على اكتشاف هؤلاء الأحياء المجهولين في عالمي  
الأرض والسماء ؟



## اتساع الكون

لقد خلق الله هذا الكون العجيب المدهش ونظمه أحسن تنظيم وزينه ، بالأفكار والكواكب ، وأشار إلى المسافات البعيدة التي تفصل بين هذه الأجرام ، فقال تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ هذه المسافات تقاس بالسنة الضوئية ، والسنة الضوئية تمثل المسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة واحدة وتقدر بألف مليار كيلو متر .

هذا الكون على سعته ورحبته قابل للإتساع ، قال تعالى : ﴿ والسما بينناها بأيدي وانا لموسعون ﴾<sup>(١)</sup> .

لقد أثبت العلم الحديث أن السماء التي بناها الله بقوته وقدرته آخذة في الاتساع فمعظم المجرات آخذة بالابتعاد عنا في جميع الاتجاهات وهذا لا يعنى أن مجرتنا تقع في مركز الكون فإذا كان لديك (بالوناً) تنتشر البقع على سطحه فإن هذه البقع سيباعد بعضها عن بعض عندما تنفخه ويزداد حجمه وهكذا تتباعد معظم المجرات تقريباً .

يقول : «موريس بوكاي» إن اتساع الكون هو الحدث الأعظم المكتشف من قبل العلم الحديث وإنه لمفهوم أكيد الثبوت والمناقشة

---

(١) الذاريات : ٤٧ .

الوحيدة منصبة على الشكل الذى هو عليه ، ولاتساع الكون نتيجة النظرية النسبية العامة - مستند طبيعى فى اختبار صورة المجرات والانتقال النظامى نحو احمرار صورتها ، الأمر الذى يوضح تباعد المجرات بعضها عن بعض وهكذا فإنّ فسحة الكون فى امتداد مستمر ، ويصبح هذا الاتساع أكثر أهمية كلما ابتعدنا عن أنفسنا ، وان السرعات التى تنتقل بها الاجرام السماوية فى هذا الاتساع المستمر ، يمكن أن تصل إلى رقم سرعة الضوء ، بل وإلى نسب أعلى منها فهل يمكن أن يكون قوله تعالى : ﴿والسمااء بنيناها بأيدى وانا لموسعون﴾ متعرضاً لهذه المفاهيم الحديثة ؟ أليست السمااء التى يعينها القرآن الكريم هى على التحقيق العالم الخارج عن الأرض ؟ ثم أليس كلمة «موسعون» إسم فاعل بصيغة الجمع لفعل أوسع ومعناه بالنسبة للأشياء أفسح ، أمد ، جعله أكثر رحابة وفسحة ؟ آه . هذا ما يشير إليه القرآن الكريم بالضبط وفى نفس السورة «الذاريات» يقول الله سبحانه : ﴿وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون . وفى السمااء رزقكم وما توعدون . فورب السمااء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾<sup>(١)</sup>

(١) الذاريات : ٢٠ - ٢٣ .



الباب الثالث  
لافتات الأرض أو معالم الوحي

## الأرض

أوضحت رسالة الإسلام أن الأرض كروية على شيء من الاستطالة قال تعالى : ﴿والأرض بعد ذلك دحاهاً ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها﴾<sup>(١)</sup> ،  
يقول الشاعر :

ان انس لم انس خبازا مررت به يدحو الرقاق كمثل الملح بالبصر  
إن الأرض التي نعيش عليها لا تختلف كثيراً عن مجموعة  
الكواكب الشمسية وحجمها يناهز حجم عدة كواكب من هذه  
المجموعة وهي محاطة بجو مركب من الغازات كمعظم الكواكب  
الأخرى ، على أنه يوجد فارق مهم بينها وبين تلك الكواكب وهو  
وجود الماء فيها ، مياه البحار والينابيع والأنهار والسحب التي تحمل  
الأمطار نتيجة تبخرات المياه الأمر الذي يميزها عن الكواكب  
الأخرى التي لم تكتشف المختبرات الفضائية أى نوع من الحياة عليها  
وإذا وجدت أية كائنات حية فهي تختلف تماماً عن كائنات  
الأرض ، ولهذا الأرض قمر واحد في حين أن للكواكب الأخرى  
عدة أقمار أو لا شيء منها وقمرنا كبير نسبياً ويسبب بالجاذبية حركة  
المدّ والجزر في البحار والمحيطات الأرضية .

---

(١) التازعات : ٣٠/٣٢ .

وأرضنا هذه متحركة سيارة بدليل قوله تعالى : ﴿وترى الجبال  
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل  
شىء﴾ (١) ،

ألا ترى معي أيها القارئ الكريم أن مرّ السحاب هذه تتفق مع  
النظرية العلمية الحديثة التى تقول بدوران الأرض السريع وضرورة  
هذه السرعة لبقائها ؟

إن الأرض تدور حول الشمس بسرعة ثمانية عشر ميلاً ونصف  
فى الثانية وتدور بسرعة أكبر من هذه حول محورها .

كما أوضحت رسالة الإسلام انها سبع ارضين ، قال تعالى :  
﴿الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر  
بينهن﴾ (٢) ، وكشفت لنا حقائق لم تكن معروفة لأمد قريب .

لقد قدمنا لمحة موجزة عن الماء ونزوله من السحاب بقدرة الله  
سبحانه وتعالى ونعود إليه فى بحثنا الأرضى ، فنقدم «موريس  
بوكاى» الذى يقول بأن القرآن يركز فى كثير من الآيات التى تتعلق  
بالأرض على أهمية الماء وعلى خصوصيتها التى هى ثمرة وجوده على  
ترتها ، والماء على سبيل التعيين هو فى الأراضى الصحراوية العنصر  
الأول فى شرط انبعاث الإنسان وحياته ، ولكن ذكر القرآن له  
يتجاوز هذه الخصوصية الجغرافية إلى إبراز الأرض التى هى  
الكوكب الغنى بالماء والوحيد فى مجموعة النظام الشمسى حسب  
معطيات المعارف الحديثة الأحسن ثبوتاً ، ولولاه لكانت الأرض

---

(١) النمل : ٨٨ .

(٢) الطلاق : ١٢ .

نجماً ميتاً كالقمر ، قال تعالى : ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ ، وهكذا نجد أن القرآن الكريم أعطى الماء المكان الأول في عرض الظواهر الطبيعية كما تناول آثاره في احياء الإنسان والحيوان والنبات والتربة ، وآثاره من برق ورعد ناتجين عن احتكاك الغيوم المثقلة بذرات الماء واللذين يبعثان الهلع في قلوب الناس من التدمير الذي قد تحدثه الصواعق ، والطمع بما بعد أن به من أمطار وخصب ، ومصداقاً لقوله تعالى : ﴿وهو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً...﴾ الآية .

إن في الأرض كثيراً من الآيات المعجزة وصفها الله سبحانه بقوله : ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾<sup>(١)</sup> . يقول بعض المفسرين إن في الأرض علامات تدل على قدرة الله كالخلق والموت والنشور والجبال والبحار والأشجار وعودة النبات إلى الاخضرار بعد صيرورته هشيماً ومنها تقديره الأقوات لكل ذى حياة ، قال تعالى : ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾<sup>(٢)</sup>

ومنها وجود الماء بنسبة ٧٥٪ بالمئة من البر ومع ذلك فإن البحار والمحيطات لا تفيض على ما حولها إلا نادراً ، ومنها وجود مادة الأوكسجين الضرورية لبقاء الحياة ، وأرى أن نوم الإنسان ونهوضه

(١) الذاريات : ٢٠ .

(٢) هود : ٦ .

من النوم هما صورتان عن الموت في الدنيا والنشور في الآخرة ،  
وقالت الرسالة بالزوجية في كل شيء فشملت الحيوان والنبات  
والجماد قال تعالى : ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم  
تذكرون﴾<sup>(١)</sup> ويقصد بالزوجين الذكر والانثى .

وقال سبحانه : ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت  
الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون﴾<sup>(٢)</sup> ، من الذرة مثلاً كما  
يقول علماء الذرة في عصرنا بتزواج الذرة ،

كذلك أليس رائعاً أن يتحف الإسلام المباحث الجنائية بأقوى  
الأدلة لاكتشاف الجريمة ؟ ألم يشر إلى بصمات الأصابع وخطوطها  
الدقيقة المتشابهة التي يختلف بعضها عن بعض متحدياً بذلك  
منكرى البعث والنشور بالمعجز من صنعه ؟

البصمات هذه كان أول من عرفها الصينيون منذ عدة قرون  
ولكنهم لم يستخدموها لكشف جريمة أو لتحقيق شخصية كما يجري  
في هذه الأيام وأول من لفت النظر إليها في العصر الحديث أستاذ  
تشرich في إحدى الجامعات الألمانية اسمه «ركنجي» ثم طبيب  
انكليزي اسمه «وليم هرشل» فاثبت عام ١٨٥٨ اختلاف البصمات  
باختلاف اصحابها كما اثبت «فرانس جلتون» أن هذه البصمات لا  
تتغير بمرور الزمن ،

قال تعالى : ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجعل عظامه ؟ بلى  
قادرين على أن نسوي بنانه﴾<sup>(٣)</sup> أي اطراف أصابعه ، فلماذا لم يقل

(١) الذاريات : ٤٩ . (٢) يس : ٣٦ .

(٣) القيامة : ٤/٣ .



يديه أو عينيه أو أذنيه أو أى شىء آخر من أعضائه وكلها معجزة ؟  
فما أعظمك أيتها الأنامل الصغيرة مثلاً للتحدى والاعجاز ، وما  
أعظم خطوطك الدقيقة الخفية وسيلة للاكتشاف !!

ولفتت الرسالة انتباهنا إلى معدن من معادن الأرض كان له  
ولا يزال دور رئيسى فى حياة الأمم والشعوب المدنية والعسكرية ،  
قال تعالى : ﴿وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ (١) ،  
أنزل علينا هذه الآية لا لترتلها ترتيلاً بل لنوجه إلى الحديد اهتمامنا  
وتفكيرنا فنصنع منه المدفع لحماية الوطن والحرائة لشق الأرض  
وزراعتها ، والطائرة للانتقال من بلد إلى بلد ، إلى غير ذلك من  
الآلات التى تساعد على دعم اقتصاد الوطن وتوطيد بنيانه وترسيخ  
استقلاله ،

وأية معجزة أكبر من هذه التى وعدت بتحقيقها فى الآفاق ؟  
﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم﴾ مشيرة بذلك إلى أسرار كامنة  
فى هذا الفضاء الرحب لم تتوصل إلى معرفتها بعد ، وقد اكتشف  
الإنسان بعضها صوراً وأصواتاً تسبح فى الآفاق على موجات الأثير  
التقطها بالآلات التى ابتكرها فإذا هى حقائق ثابتة لا يرقى إليها  
الشك فى متناول أيدينا ، تنعم بها أبصارنا ، وتطرب لها مسامعنا ،  
فنرى ونسمع رغم الأبعاد والمسافات غرائب الدنيا وما يدور فيها من  
أحداث ، وإلا فأى شىء فى الآفاق غير إمكانية ما يمر فيها من  
أصوات وصور ؟ وعدنا الله برؤيتها ؟ الا يعتبر هذا إحياء من الله

---

(١) الحديد : ٢٥ .

بإمكان اكتشاف ما توصل إليه العلم في عصرنا ؟

أما الشطر الثاني من الآية ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فإن ما يوجد في الإنسان وهو العالم الأصغر يوجد له مثل في العالم الأكبر وحين يوجه الإنسان فكره إلى نفسه ويكتشفها ستتعري أمامه الأسرار وترتفع عن بصيرته الحجب ، ففي النفس البشرية عوالم مجهولة لا تزال سرّاً مغلقاً ،

ثم أألسـت ترى معي أيها القارئ أن في تسخير الرياح لسليمان إشارة إلى امكان التصرف بهذه القوة من قوى الطبيعة ؟ قال تعالى : ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غَدُوها شَهِرٌ وَرَواحُها شَهِرٌ﴾<sup>(١)</sup> ، أى سخر لسليمان الريح تغدو في الصباح إلى انتصاف النهار مسيرة شهر وترجع من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر ، قال تعالى : ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِخاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ .

وما تسخيرنا لموجات الراديو والتلفزيون «أى الشاشة المرئية» واللاسلكى وايصالنا الأوامر إلى المركبات الفضائية والأقمار الصناعية السابحة في الفضاء إلّا بداية الطريق لاكتشاف الكثير من مخبآت المجهول ،

نرى لو قدر للعرب المسلمين الذين قال فيهم «غوستاف لوبون» : «لولا ما وصل إليه العرب من نتائج واكتشافات لما استطاع العالم «لا فوازيه» أبو الكيمياء الحديثة أن يتهى إلى اكتشافاته ، وأن مؤلفات أبى القاسم القرطبي في الطب كانت

---

(١) سبأ : ١٢ .

المصدر الذى استقى منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر ،

ونحن نقول إن معلم «لافوازييه» وسواه هو جابر بن حيان أبو الكيمياء عند العرب ومعلمو الطب عند العرب هم معلمو العالم ، كالأبي بكر الرازي وابن سينا ، والزهراوى وعلى بن حزم «ابن النفيس» والطبرى وابن الهيثم فى علوم الفيزياء وثابت بن قرة أبو علم الحساب ومحمد بن موسى الخوارزمى مؤسس علم الجبر ونصير الدين الطوسى أبو علم الهيئة (الفلك) ، وقد نجح علماء المسلمين فى الموسيقى والترجمة والصيدلة وبرعوا فى كل العلوم ، ولو قدر هؤلاء أن يتابعوا مسيرتهم الحضارية وثورتهم العلمية الرائدة لكانوا اليوم هم الطليعة

ترى ؟ هل نعيد الكرة ؟

إننى المح فى الأفق علامات مشجعة ، دخاناً يتصاعد من المصانع الفتية الناشئة وشباباً يتحفز للسير فى الطليعة ، وإننا لمنتظرون .

وهناك أشياء كثيرة فى رسالة الإسلام يحار فى تفسيرها العقل بل لا يمكن تفسيرها إلا فى ضوء العلم لا بأس أن نورد بعضاً منها فى وصف وقائع معينة ستحدث ، قال تعالى : ﴿يسأل ايان يوم القيامة ؟ فإذا برق البصر ، وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾<sup>(١)</sup> ،

(١) القيامة : ٦ - ١٠ .

وقال تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ <sup>(١)</sup> ،

وقال : ﴿ يوم نظوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ <sup>(٢)</sup>

وقال : ﴿ إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت ، وإذا البحار فجرت ، وإذا القبور بعثرت ﴾ <sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ <sup>(٤)</sup> .

ما وراء هذه الكلمات ؟ انشقاق القمر ، وانفطار السماء ، وتناثر الكواكب ، وبعثرة القبور ، وخسوف القمر ، وجمع الشمس والقمر ، وبروق البصر ، وزلزلة الساعة ؟ أهكذا تبدأ النهاية ؟ سؤال نوجهه إلى علماء الذرة والفلك من شرقيين وغربيين علّنا نجد لديهم جواباً على ضوء أبحاثهم وتجاربهم : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ <sup>(٥)</sup>

وهكذا نرى أن رسالة الإسلام تناولت السماء وما فيها ومن فيها من جن وملائكة وكواكب وأبعاد هائلة تفصل بينها وأشارت إلى

(١) القمر : ٢/١ . (٢) الأنبياء : ١٠٤ .

(٣) الانفطار : ١ - ٤ .

(٤) الحج : ١ .

(٥) العنكبوت : ٤٣ .

حقائق علمية فيها كما تناولت الأرض ومن عليها وما عليها من رياح وبحار وغيوم ، وإلى الطيور والحشرات وإلى أصل الحياة في عالم الإنسان والحيوان والنبات ،

وحسبنا أن نقدم للأطباء الذين يبحثون في علم الأجنة قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَآمًا ، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾<sup>(١)</sup>

قال بعض المفسرين في تفسير هذه الآيات ، إن الله سبحانه خلق الإنسان من سلالة (خلاصة الطين) من سللت الشيء أى استخرجته منه ، ثم جعله نطفة في قرار مكين أى الرحم مدة أربعين يوماً ، ثم جعل النطفة علقة أى دماً جامداً ، وبقي أربعين يوماً كذلك ، ثم جعل العلقة مضغة أى لحمه وبقيت أربعين يوماً ، ثم خلق المضغة عظاماً فكسا العظام لحماً ثم أنشأه خلقاً آخر أى نفخ الروح فيه ،

وقال بعضهم : خلق الله ابن آدم من صفوة ماء استلت من آدم ، وآدم من طين ، ثم كان نطفة في الرحم وبعد ذلك قطعة من الدم ، ثم اللحم ، ثم العظام ، ثم كسيت العظام باللحم ، ثم نفخت فيه الروح .

---

(١) المؤمنون : ١٢ - ١٦ .

وقال بعضهم : خلق الله آدم من تراب ثم خلق ذريته من نطفة (أى منى) ثم من علقه وهو الدم الجامد ، ثم من مضغة وهى لحمة قليلة قدر ما يمزج ومنه الحديث الشريف «ألا وإن فى الجسد مضغة ، ، وهذه الأطوار أربعة أشهر قال ابن عباس : وفى العشر بعد الأشهر الأربعة ينفخ الروح فيه فذلك عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر» ،

هذه المراحل التى يتكون فيها الجنين فى قرار مكين فى رحم أمه لا تختلف مع العلم الحديث فى شىء ، وقد فصلها القرآن الكريم مرحلة مرحلة وبدقة متناهية ولم يكن يومذاك آلات حديثة ولا أشعة ولا مجاهر يطلع بها الطبيب على سير النطفة فى الرحم فسبحان الله العلى العظيم الذى بيده الموت والحياة وهو على كل شىء قدير وأشهد أن القرآن الكريم وحيه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

## نقصان الأرض

قال الله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ <sup>(١)</sup> ،

يحسن بنا أن نذكر ما قاله المفسرون الأقدمون في هذه الآية ثم نعرض بعض الآراء المعاصرة بشأنها ،

قال ابن عباس ومجاهد : «نقصها من أطرافها» ، أى بموت علمائها وصلحائها معتبرين الأطراف هم الأشراف .

وقال بعضهم : إن هذا القول بعيد لأن مقصود الآية : أنا أريناهم النقصان في أمورهم ،

وقال عطاء بن رباح : يعنى ذهاب فقهاءها وخيار أهلها ، وقيل : أو لم ير المشركون أنا نفتح للمسلمين أرض الكفار أرضاً بعد أرض ،

وقال بعضهم : لو كان المراد بذلك نقص الأرض لضاق عليك «حشئك» أى موضع قضاء الحاجة ، ثم ختم الله سبحانه الآية بقوله : «لا معقب لحكمه» أى أن حكمه نافذ ليس بمقدور أحد أن يغيره أو يزيد أو ينقص فيه سواه .

ولكى نفهم قوله تعالى - نقصها من أطرافها - لا بد من أن

---

(١) الرعد : ٤١ .

نفهم من أى شىء تتركب الأرض ، فقد تكلمنا عنها وقلنا أنها مدحاة (بيضاوية) ومحاطة بجو من الغاز ، وانها تدور حول نفسها ، تنفرد عن الكواكب بوجود الماء والحياة فيها ، وأن لها قرراً كبيراً يسبب المد والجزر فى المحيطات والبحار .

أما داخل الأرض فهو يتركب من طبقة خارجية وهى صفائح من الصخور تبلغ سماكتها ستين كيلومتراً ، ثم من طبقة انتقالية أولى وهى أكثر سماكة من الطبقة الخارجية ، وربما كانت مكونة من صخور منصهرة أو شبه جامدة ، ثم من الغطاء الأعلى وهو مؤلف من صخور صلبة تحت درجات عالية من الضغط والحرارة ، ثم من طبقة انتقالية ثانية وعمقها من ٤٠٠ - ٨٠٠ كلم ثم من غطاء أسفل وهى صخور صلبة تحت درجات أعلى من الضغط ثم من اللب المنصهر وهو مؤلف من الحديد والنيكل فى حالة الانصهار ثم من اللب الصلب وهو مؤلف من الحديد والنيكل والكوبلت فى حالة الصلابة وتحت درجات هائلة من الضغط .

أما الأقسام التى يحدث فيها التقلص بفعل الحرارة الباطنية التى تصهر الحديد والمعادن والصخور فهى الأطراف التى هى أقل سماكة من غيرها - وأطراف الأرض جوانبها -

وكذلك يحدث هذا التقلص بفعل الغازات والسوائل التى تصعد إلى أعلى أى من الداخل إلى قشرة الأرض فتحدث تصدعاً وانشقاقاً فيها ثم تبرد وتعود إلى الداخل وتستمر هذه الحركة المتفاعلة داخل الأرض حيث تسبب نقصان الأرض فى أطرافها بسبب التداخل ،



وقد أشار الله سبحانه إلى هذه التشققات والتغيرات التي تحدث في الأرض بقوله : ﴿والأرض ذات الصدع﴾<sup>(١)</sup> وفسرها الأقدمون بالتشقق في حينه ،

أما الذين يقولون بأن الأرض تتمدد بتأثير هذه الانصهارات الباطنية مستندين إلى قوله تعالى : ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون﴾<sup>(٢)</sup> ، فانهم اخطأوا فهم الآية التي يشير الله سبحانه بها إلى بدء الخلق حيث بسط الأرض ومدّها لتكون صالحة للسكن والزراعة ، وثبتها بالرواسي أى الجبال كي لا تميد ولا تنهار بمن عليها وما عليها فقال تعالى : ﴿والقي فيها رواسي أن تميد بكم﴾<sup>(٣)</sup> ،

ولذلك يبقى المقصود في قوله تعالى : ﴿والسماء ببنيناها بأيد وانا لموسعون﴾<sup>(٤)</sup> هو اتساع السما وتمددها ، كما يبقى المقصود في قوله تعالى : ﴿أو لم يروا أنا نأتى الأرض نقصها من أطرافها﴾ هو تقلص أطراف الأرض ونقصانها ، ثم انه عندما تتوسع السما وتتمدد الا تصبح الأرض أصغر بالنسبة إلى هذا التوسع ؟

إننى أتمنى لو أن نخبة من العلماء ذوى الاختصاصات المختلفة من جيولوجيين وكيميائيين وأطباء أخصائيين في علم الأجنة ، والوراثة والنفس والفلك والهندسة والأدب ، والتاريخ ، واللغة ، وعلم الحيوان ، والنبات ، والماء ، والحساب ، وغيرها من العلوم لو أن هذه النخبة تتدارس القرآن الكريم وتستجلي معانيه وتتقصى أهدافه

(١) الطارق : ١٢ . (٢) الحجر : ١٩ .

(٣) النحل : ١٥ . (٤) الذاريات : ٤٧ .

ومراميه إذاً لوجدوا فيه ما يدهش العالم ويثبت أنه وحى الله ،  
ادعواهم إلى ذلك لأن الاسلام دعا إلى العلم ، والتعمق في العلم  
يدعو إلى الايمان .

قال لورد كيلفن وهو من علماء الطبيعة البارزين : «إذا فكرت  
تفكيراً عميقاً فإن العلوم سوف تضطرك إلى الاعتقاد بوجود الله» .  
وقال العالم (أوليفر نندل) : «كلما تقدمت العلوم ضاقت بينها  
وبين الدين شقة الخلاف فالفهم الحقيقي للعلوم يدعو إلى زيادة  
الإيمان بالله» .

هذا وستبقى معجزة القرآن الكريم الأولى الخالدة أبد الدهر هي  
فصاحته وبلاغته واسلوبه التعبيري المعجز لأنه كلام رب العالمين .



## الباب الرابع

### تعليق وتساؤل ؟

## ماذا ستحملون إلى السماء يا رواد الفضاء ؟ الأسئلة ؟

تلك السماء الصافية الهادئة المزينة بكواكبها ونجومها المستحمة  
بشعاع شمسها وأنوار أقمارها ، المرجعة ترانيم الملائكة وتسابيح  
الأرواح ماذا ستحملون إليها ؟

لقد أوفدت السماء روادها إليكم مرات ومرات قبل موسى  
وعيسى ومحمد ، وأرسلت معهم الكثير من تعاليمها لتكونوا بحق  
خلفاء الله على أرضه ، ولتكونوا كأهل السماء طيبة وصفاء ،  
وقناعة ، فأبستم إلا أن تغوصوا في وحول الأرض أحياء وأمواتاً ،  
إنكم لم تفتحوا سوى واحد من أبوابها السبعة ، ولا تزال  
أمامكم أبواب موصدة ومسافات مذهلة ، عبرت عنها رسالة  
السماء ، فقالت : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره  
خمسین ألف سنة ﴾ ، فإذا تزودتم كي تفتح لكم السماء حبكها  
إن العلم وحده لا يكفي ، العلم المجرد عن معاني المحبة والخير  
والجمال وخشية الله هو طريق فشلكم ودماركم ، قال تعالى : ﴿ إن  
الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب  
السماء ﴾ (١) ،

---

(١) الأعراف : ٤٠ .

اتحملون إليها الرأسمالية نظاماً قائماً على المادة والآلة والاحتكار  
مجرداً عن الروح والخلق تفسدون به السماء وسكانها كما افسدتم  
الأرض وسكانها ؟

الرأسمالية ؟ بكل طغيانها وانسياقها مع طمع الإنسان ونزعه إلى  
التملك والاحتكار والتحكم والجشع وكراهية الفقير تلك التي لا  
يكبح جماحها وازع من دين ولا يشبدها إلى الإنسانية رباط .  
الا ترونها احتكرت قوت الفقير وامتصت دم العامل ،  
واستحالت إلى ثروات مكدسة في صناديق الممولين واصحاب  
المصانع والآلات وافرزت في مجتمعاتكم طبقات متفاوتة ؟  
قتلتم في سبيلها الأبرياء ، واستعبدتم الشعوب ، واقتطعتم أرضاً  
ليست لكم ولا لآبائكم وأجدادكم لتضموها إلى أرضكم وبلادكم  
علكم تشبعون نهمكم الذي لا يشبع وطغت فرديتكم فجعلت  
منكم أناساً يعبدون غرورها ، ويتزلفون إليها فكتم لها اصناماً من  
لحم ودم انبعث منها «فرعون» مرة أخرى يهتف من أعماق ذواتكم :  
أنا ربكم الأعلى ..

## أم تحملون إليها الفردية ؟

ذلك النظام الفردى الذى يسمى «ديكتاتورية» والذى نسميه «الانا» المتحكمة بصاحبها والذين هم فى امرته أو فى مسؤوليته فهو الذى حاربه ومحاربه الإسلام ولذلك كانت تنشئته للفرد مستهدفة إماتة هذه النزعة فيه وزرع المحبة بدلاً منها فبالحبة والرحمة والحزم تساس الرعاية ولذلك خاطب الله نبيه محمداً ﷺ الذى هو القدوة فى الخلق والسلوك تعليماً لأمتة فقال : ﴿فبها رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾<sup>(١)</sup> ، كما وصف الله الجماعة الإسلامية بقوله ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ ، لقد وضع الله سبحانه قاعدة الشورى لتجنب الحكم الاستشار بالرأى وبالتالى الميل والجنوح عن قاعدة العدل والمساواة ،

لقد تكلمت عن الرأسمالية وجنوحها إلى الجشع والاحتكار والتي تجعل من الإنسان المتمول آلة لا تحس ولا تشعر بما حولها من جوع وفاقة فلا أريد أن يتسرب إلى أذهانكم أن الرسالة الإسلامية تقف موقفاً سليماً من الملكية الفردية الخاصة ، فقد اقترتها حين

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .

اقتطع صاحب الرسالة بعض الأراضي في المدينة المنورة ووزعها على أصحابه المهاجرين من مكة ليعمروها ويستثمروها ، وشجعت على تملك الأرض الموات بأحيائها بالحرث والزراعة كما اطلقت للفرد حرية التملك ولكن في حرية موجهة تضمن اقتناعه بأن المال مال الله وأن الأرض أرض الله وأنه مستخلف فيها ، كما حرصت على بقائه في حدود الجماعة ، لذلك أمرته بالسعي والعمل . قال تعالى : ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾<sup>(١)</sup> وقال محمد ﷺ : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يديه وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري .

ثم إن الرسالة هذبت الفرد المسلم تهديباً واعياً وجعلته يشعر برقابة الله المستمرة على تصرفاته وأفعاله ، فقال تعالى : ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾<sup>(٢)</sup> . وقال رسول الله ﷺ : « أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، ثم زادت ثقة بنفسه و يقيناً بوجوده وأمانته حين أقامته هو نفسه رقيباً على الناس ، قال تعالى : ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾<sup>(٣)</sup> ، وبعد ذلك أطلقت إلى الجماعة عضواً صالحاً يحمل بين جنبيه ضميراً عادلاً هو القاضي الذي يرجع إليه في خلواته فيؤنبه على سيئة اقترفها ويشجعه على حسنة فعلها ، وهذه المحكمة التي تنعقد بين جنبيه لا يستطيع أن يهرب منها في حين يمكن

(١) الملك : ١٥ . (٢) النساء : ١ .

(٣) البقرة : ١٤٣ .



المرء الهروب من المحاكم الأخرى والفرار من عقوبتها إلى رؤوس الجبال أو بطون الأودية أو أى ملاذ آخر .

وفرضت الرسالة على المسلم المكلف نظام الزكاة لتصحيح الخلل الذى يفرز طبقة الفقراء فى حال الطمع والشح والحرص على جمع المال ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ ، وَفِي الرِّقَابِ ، وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ولو طبق المسلمون هذا النظام لما بقى بين المسلمين فقير واحد واحتاطت لما ينتج عن هذا النظام من تواكل وكسل عند المزمكى عليهم ، فأمرت بالعمل والسعى ، قال تعالى : ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَيَسِّرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقال : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> وقال : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ <sup>(٤)</sup> كما قال رسول الله ﷺ فى بعض أحاديثه فى العمل والسعى ، « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يديه وإن نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده » ، وفى التواكل قال رسول الله ﷺ للاعرابي الذى اتاه وقد سرح ناقته « اعقلها وتوكل » وفى المسألة والتسول قال : فى بعض أحاديثه الكثيرة فى هذا الموضوع : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم » .

ذهب عمر بن الخطاب يوماً لزيارة أهل الصفة (وهم جماعة اتخذوا مسجد النبي مأوى لهم يتعبدون فيه ليل نهار) ، فلما صلى بهم

(١) التوبة : ٦٠ . (٢) التوبة : ١٠٥ .

(٣) الجمعة : ١٠ . (٤) النجم : ٣٩ .

العصر سألهم ممَّ يعيشون ؟ ، قالوا : إنهم يعيشون على الصدقات  
فانكر عمر ذلك عليهم وقال : اذهبوا فليس في الاسلام سولة .  
لقد بينت الرسالة للمسلم مكانه في الأمة ومكانته فيها وافهمته  
أنه حارس على مصالحها ومرافقها وشؤونها ، حارس لا تنام عيناه  
ولا يغفل قلبه حين قالت له باصرار (أنت على ثغرة من ثغرة الإسلام  
فلا يؤتين من قبلك ..)

## أم تحملون إليها الشيوعية ؟

الشيوعية ، تلك التى ابتدعها خيال المصلحين كما يزعمون لكبح جماح الفردية ونصفه الجماعة فأسرفت فى هذه وتلك : «أن يعمل كل بقدر طاقته ، وأن يعطى بقدر حاجته» ، نظام ما كان له أن يعيش لولا ديكتاتورية عنيدة يساندها العلم المادى ومع ذلك لم يقدر له أن ينتشر فى الأرض التى هى مهده .

إن الإنسان ميال بفطرته إلى التملك ﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾<sup>(١)</sup> فهو حبة من حبات العقد الذى ينتظم الجماعة فيجب والحالة هذه أن لا يترك فى نفسه أثر للكبت والحرمان وفقدان الشخصية المستقلة حتى لا تكون هذه الحبة سبباً لانفراط العقد وتناثره ، إنه ليس كآلة يؤمر فيطيع وتحركها الأيدي فتتحرك بل هو إنسان تعصف فى جوانب نفسه رياح الحرية والطموح منذ أن خلقه الله ، فأية مضاضة آلم لنفسه من شعوره بعبوديته لمجتمع ، ذلك المجتمع الذى يستغل مواهبه وكفاءاته ويدّعيها لنفسه مساوياً بينه وبين البلداء والمغفلين ؟ والبشرية بين هذه وتلك فى حرب باردة تتحول أحياناً إلى حرب حامية وقودها الأبرياء الآمنون ، وهكذا تتوالى على مسرح الحياة اصطدامات مسلّحة وغير مسلّحة فى سبيل

---

(١) الروم : ٣٠ .

بسط النفوذ والسيطرة لتكون أمة أقوى من أمة إلى أن يعود الإنسان إلى ضميره وربّه إلى رسالات السماء .

إن الشيوعية هي نظام قائم على المادة المجردة عن الروح بحيث تجعل الإنسان كالألة أو كخصن جف مأوه :

وغصن يابس لا ماء فيه فليس بمثمر عبناً وتيناً  
لقد وضع «ماركس» نظريته في القرن التاسع عشر على مبدأ إلغاء الملكية الخاصة وتمليك المجتمع ، وتعليل ذلك في نظره أن الرأسمالية أفرزت طبقتين : طبقة قليلة العدد تمسك في أيديها وسائل الإنتاج والملكية . وطبقة العمال التي لا تملك شيئاً ، وهذا ما جعل النضال مستمراً على مر العصور بين الاقلية «البرجوازية» وبين (البروليتاريا) أى طبقة العمال التي تشكل الأكثرية الساحقة في المجتمع وفي نظره أن الحل هو مصادرة الملكية الخاصة بحيث يملك المجتمع كافة وسائل الانتاج ويجزُ لاسمه انتاج الفرد وبهذا قضت الشيوعية على الفطرة السليمة التي فطر الله الإنسان عليها ، كما قضت على طموح الإنسان ومواهبه ، كما قدمنا .

لا أريد أن يتسرب إلى الأذهان بأن الرسالة تقف سلباً من الجماعة ، فهي لم تهمل أمرها بل وضعت لها قاعدة التعاون بعد أن هذبت الفرد وضمته إليها ، قال تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾<sup>(١)</sup> ، هذا التعاون الذي يزرع الخير والمحبة ويشمر السلام والرفاهية ويقضي على التسلط والعدوان هو

(١) المائدة : ٢ .

الأساس الصالح لبناء المجتمعات الصالحة .

وأمرت بالمصالحة بين المتخاصمين بطريقة تعتبر الذروة لأرقى ما وصلت إليه قوانين الحقوق ، قال تعالى : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلتا التي تبغى حتى تنفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقتسوا إن الله يحب المقسطين﴾<sup>(١)</sup> .

كما أمرت بالحفاظ على العهود والمواثيق بين الأفراد والأمم ، قال تعالى : ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾<sup>(٢)</sup> ، ونهت عن إبرام المعاهدات غير المتكافئة التي يشوبها الغش والدخل واغتنام الفرص فقالت : ﴿ولا تكونوا كالتى نقضت غزها من بعد قوة انكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾<sup>(٣)</sup> .

وفرضت بالإضافة إلى ذلك مؤتمرات اجتماعية :

يومية : يؤديها المسلم خمس مرات فى اليوم واللييلة ، فقال تعالى : ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾<sup>(٤)</sup> .

واسبوعية : يؤديها المسلم يوم الجمعة من كل اسبوع ، قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾<sup>(٥)</sup>

وسنوية يؤديها المسلم مرة فى العمر عند الاستطاعة ، قال

(١) الحجرات : ٩ . (٢) النحل : ٩١ . (٣) النحل : ٩٢ .

(٤) النساء : ١٠٣ . (٥) الجمعة : ٩٧ .

تعالى : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾<sup>(١)</sup> ،  
 في هذه المؤتمرات يجتمع المسلمون في مدنهم وقراهم فيتشاورون  
 فيما بينهم ويبحثون شؤونهم وقضاياهم الحياتية فيقومون بالتعاون على  
 إنشاء مشروع أو بناء مدرسة ، أو مصلحة بين المتخصصين كما أنهم  
 في الحج يتعارفون وي طرحون مشاكلهم الآنية والمستقبلية على بساط  
 البحث والنقاش وعلى ضوء هذا التفاعل الفكري يقررون ما فيه  
 جمع كلمة الأمة ورفع كيانها ،

أما مسؤولية الجماعة تجاه الفرد فقد حددتها الرسالة بتصور لا  
 أجدر أدق وأكثر شمولاً منه ، فقد قال رسول الله ﷺ «إن قوماً  
 ركبوا سفينة فافتسموا ، فصار لكل منهم موضع فنقر رجل منهم  
 موضعه بفأس فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : هو مكاني أصنع فيه ما  
 أشاء ، فإن اخذوا على يده نجا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا» ..

كما أنه من حق الفرد على الجماعة أن ترعاه في شيخوخته وعجزه  
 عن العمل فقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه شيخاً يهودياً  
 ضريراً يسأل الناس ، فقال له ما أجبك إلى هذا ؟ قال : الجزية  
 والحاجة ، والسنن يا أمير المؤمنين ، فأخذ عمر بيده واعطاه ما يكفيه  
 وقال لخازن بيت المال انظر هذا وأمثاله ، فوالله ما انصفناه أن أكلنا  
 شببته ثم نخزه عند الهرم ، ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾  
 وهذا من مساكين أهل الكتاب وأجرى له راتباً شهرياً .

لقد بدأت الرسالة من البيت لعلمها ان الدروس التي يتلقاها

---

(١) آل عمران : ٩٧ .

المرء في البيت أبقى في وعيه وذاكرته من أى درس آخر ، وإن ما تبنيه المدرسة في عام يهدمه البيت في يوم فدخلت إليه من هذا الباب باسم الله ، لتضع له قواعد جديدة في الأدب والسلوك الاجتماعي ولتحدد لكل واحد في الأسرة دوره ومكانه في المسؤولية فقال ﷺ : «كلكم راع ، وكلكم مسؤولة عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسؤول في رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيته والحادم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته ، والولد راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته ، كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (متفق عليه) .

إن الأبوين مسؤولان عن تربية أولادهما ويترتب عليهما لهم حقوق أهمها العلم ، قال رسول الله : ﷺ : «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمية ، وأن لا يرزقه إلا طيباً» (رواه الحكيم وأبو الشيخ والبيهقي وأشار الطوسي في الجامع الصغير) . كما عليه أن يعدل بينهم ، قال رسول الله ﷺ : «إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القبل» وقال : «لا تكثرها البنات فإنهن المونسات الغاليات» .

ويتوجب على الوالد نفقة أهله وعياله قال رسول الله ﷺ : «دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في ربة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك ، وأعظم أجر الذي أنفقته على أهلك ،» (رواه مسلم عن أبي هريرة) ، ولا يخفى أن هذه التعاليم تراعى الجانب النفسى للولد بالإضافة إلى الجوانب الخلقية فتبعده

عن الحسد والكراهية والكبت الذى يسببه التمييز بين ولد وآخر ثم يترسب على مر السنين فى نفسه ليصبح مرضاً خطيراً فإذا بلغ الولد رشده وخرج إلى مجتمعه تفجّر هذا الحقد بالاحتكاك والتعامل وأصيب بشظاياها هو والمجتمع الذى يعايشه ويقابل هذه الواجبات الملقاة على الوالدين واجبات على الأولاد تجاه والديهم اجملها القرآن الكريم فى آية لا أروع ولا أعظم ولا أبلغ منها تنبض بالحب والرفق والرحمة وتنطق بعرفان الجميل قال تعالى : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا أما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾<sup>(١)</sup> ،

إن كلمة اف هذه الكلمة الصغيرة فى قاموس التذمر لا ينبغي للولد أن يتفوه بها فى وجه والديه كيف لا وقد قرنت الرسالة معاملتها بعبادة الله وتوحيده دلالة على أن الإحسان إليهما فى موازاة العبادة من حيث الأجر والقبول عند الله أما واجبات الرجل تجاه زوجته فالرسالة أوضحتها فى آية كريمة هى الرفق كله والمساواة كلها قال تعالى : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾<sup>(٢)</sup> .

إنها مخلوقة من نفس الرجل ، شريكته فى السراء والضراء ، عونه على مصائب الدنيا ، وصنوه فى أفراحها يتقاسمها على

(١) الإسراء : ٢٣ .

(٢) الروم : ٢١ .



السواء ، يسكن إليها فترتاح نفسه من أعباء الحياة وتعب النهار ،  
وينظر إليها فتسرى في قلبها المودة والرحمة سريان الحياة في أملود  
قال رسول الله ﷺ : «خياركم خيركم لأهله» جاء رجل إلى عمر  
ابن الخطاب رضى الله عنه وهو يومئذ خليفة المسلمين ليشكو إليه  
خلق زوجته ، فوقف ببابه ينتظر خروجه ، فسمع امرأة من الداخل  
تستطيل عليه بلسانها ، وهو ساكت لا يرد عليها ، فانصرف الرجل  
وهو يحدث نفسه قائلاً : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر فكيف  
حالى ؟ وخرج عمر فرآه موليا فناداه ما حاجتك يا أخى ؟ فقال  
الرجل يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك زوجتى واستطالتها على  
فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت إذا كان هذا حال أمير  
المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟ فقال عمر : تحملتها لحقوق أهلها  
على ، فإنها طباحة لطعامى خبازة لحبى ، غسالة لثيابى ، مرضعة  
لولدى ، وليس ذلك بواجب عليها ، وسكن بها قلبى عن الحرام ،  
فأنا أحملها لذلك ، فقال الرجل وكذلك زوجتى ، قال عمر :  
فتحملها يا أخى ، هى مدة يسيرة .

## وشهد شاهد من أهله

يا رواد الفضاء ، لعلكم تريدون المزيد من أنباء هذه الرسالة التي هي لنا ولكم وللعالم أجمع ، فقد أرسل الله بها محمداً ﷺ للناس كافة قال تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾<sup>(١)</sup> ، وقال : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾<sup>(٢)</sup> ، فاسمعوا إذا بعض شهادات أبناء جلدتكم وعمومتكم في الإسلام ورسول رب العالمين :

قالت مجلة «سيفيلينا كاتوليكا» : «أثبت المستشرق الاسبانيولى (هيغل ازان بالأسيسوس) أن فلسفتنا المدنية المدرسية مدينة بالشيء الكثير للفلسفة الإسلامية ، وإن «دانتى والقديس توماس داكأن» كانا يعيشان في شبه صلة روحية مع مفكرى الإسلام ، وفي الواقع إن مؤلفات كثير من علماء المسلمين «كالغزالي» بوجه خاص تبعث فلسفتنا الدينية حياة ونشاطاً ، وتوحى إلى تلاميذنا الشبان إيماناً جديداً بقوة الفعل البشرى ، لقد منعنا التعصب من أن ندرس الإسلام ونعرف حقيقته ، أما الآن فقد أدركنا جمال الإسلام ونبل تعاليمه ، ولذلك ندعو إلى التقرب من المسلمين رغبة في تأييد الفكرة الدينية في العالم والقضاء على النزعات الالحادية .

(١) سبأ : ٢٨ . (٢) الأنبياء : ١٠٧ .

وقال الفيلسوف «برناردشو» لا بد من أن تعتنق الامبراطورية البريطانية النظم الإسلامية قبل نهاية هذا القرن ،  
 وقال العلامة (ديتونورت) إن علوم الطبيعة ، والفلسفة ،  
 والفلك ، والرياضيات ، التي انعشت أوروبا مقتبسة من القرآن  
 الكريم بل أن مدينة أوروبا مدينة للإسلام ،  
 وقال الفيلسوف والشاعر الألماني «غوته» إذا قرأ الإنسان القرآن  
 أول مرة رأى فيه شيئاً جديداً لم يألفه من قبل ، وكلما كرر التلاوة  
 ازداد حباً له واعجاباً به وانجذاباً إليه حتى يضطر أخيراً إلى اكباره  
 واجلاله ،

وقال مخاطباً الفيلسوف «كارليل» حينما بين له هذا الأخير عظمة  
 الإسلام وروحه العظمى : إذا كان هذا هو الإسلام ألسنا كلنا  
 مسلمين ! فأجابه «كارليل» أجل إن من يحيا بالروح إنما يحيا على  
 الإسلام .

وقال العالم الهندوسى (ت . ل . فوانى) تأملت محمداً ﷺ  
 فتعجبت من هذا الرجل العظيم الذى نشأ بين هؤلاء القوم الختلى  
 النظام العابدى الأحجار هذا الرجل وقف وحده شجاعاً متحدياً غير  
 هياب ولا وجل فى وجه الوعيد والتهديد بالقتل حيث اعتق العبيد  
 وألف بين النبلاء والأشراف والصعاليك المنبوذين حتى صاروا اخواناً  
 وخلاناً ، فمن أين استمد محمد قوة حياته الغالية ؟ ومن أين جاء سر  
 هذه القوة ؟

كانوا اشتاتاً عمتهم الفوضى فألف بين قلوبهم ، وجعلهم أمة  
 واحدة وكانوا غارقين فى التوحش وانقذهم وجعلهم عظماء أقوياء

في أعين أم الأرض فصارت الأمة العربية صاحبة القيادة العليا في التمدن ، وصارت اللغة العربية آخذة بيمينها مصباح الرقى ، والتهديب العربى الإسلامى هو الذى أنشأ في آسيا وأوروبا نشأة جديدة وإنسانية جديدة ،

وقال مستر هراس ليف الانجليزى - ما كان أشد دهشتى حينما رأيت الشعور بالمساواة على أتمه بين المسلمين في عيد الفطر في مسجد (وكنج) في بريطانيا هنالك وجدت أجناساً من البشر مختلطين على اختلاف رتبهم اختلاطاً لك أن تسميه بحق «أخويًا» ، ولم أكن شاهدت مثل ذلك من قبل في أى اجتماع ديني آخر ، وقالت الكاتبة الفرنسية (مدام ريف) لا أكم انى شعرت باليون الشاسع بين الدين الإسلامى في فضائله وكمالاته وبين غيره من الأديان ، فقد كنت امقت كل المانى منذ شاهدت بعينى تلك الشدائد التى قاستها فرنسا في الحرب الألمانية : أى حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ ولكن الروح الإسلامية السامية قهرت تلك العاطفة وجعلتنى أحب الخير للناس جميعاً ،

وقال العالم الفرنسى «هنرى دى كاسترى» ثبت بالحق والصدق أن محمداً لم يقرأ كتاباً مقدساً ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه ،

وقال «هانوتو» وزير خارجية فرنسا الأسبق في خطاب له مهيب عن الإسلام والمسلمين : يجب علينا أن ندرس الدين الإسلامى ونبذل جهدنا في فهمه ، وعلينا أن نتخذ الآية القرآنية : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ شعاراً لنا لا يخرج عن حدود معناها وأن نحترم الدين

الإسلامي .

ونشرت مجلة «رايدرز دايجست» مقالاً مطولاً لكاتب أمريكي قرر فيه أن الشرق في طريق نهضة كبرى سوف تقوم على الإسلام ، وأن الإسلام هو أبرز الأديان المؤثرة في الحياة العامة ، وإذا صح للمستنتج أن يستنتج حوادث المستقبل على ضوء الحاضر فلنأني أقول : إن المسلمين ستكون لهم الدولة .

وقال الأستاذ (ليبتز) في كتابه المسمى «ديانات الأمم وعقائدهم» : إن الدين الإسلامي يوافق الأمم كافة ويجعلهم أمة ، وإنني أؤمل أن أرى النصارى بعد حين آخذين بدرس هذا الدين والتدين به وموالاته محمد لأن دينه هو الدين القويم .

وقال الدكتور (شالدريك) الذى اعتنق الإسلام وسمى نفسه خالداً : فتشت كثيراً ، وبحثت كثيراً فى كل ما كتبه السلف والخلف عن الأديان ، ولم أقبل اعتناق الإسلام إلا عن علم ومعرفة ، فهو خير واقوم دين جاء خاتم الأديان فى مصلحة المجتمع البشرى ورفاهيته ، لقد اجتذبنى الإسلام بسحره ومغناطيسه واحتضنتى وأنا ابن (التاميز) أى ابن بريطانيا ، إن عدد المسلمين يزيد يوماً عن يوم وعلى الأخص فى إفريقيا ، وأن الكاتب الكبير الفيلسوف الإيرلندى (برناردشو) أنذر أوروبا وأمريكا بأن الإسلام سيكتسحها فى القريب العاجل ، إن خير طريق لتقدم المسلمين واسعادهم هو الرجوع إلى القرآن الكريم والعمل بما فيه ونبد التحزب والشقاق بالاتحاد ، وأن الكتلة المجموعة لا تقدر على فصمها اليد الواحدة .

وقال الشاعر اللبناني رشيد سليم الخورى الملقب بالشاعر

القروى فى خطبة له يوم ذكرى المولد النبوى الشريف فى سان باولو - البرازيل ، :

أيها المسلمون أيها العرب ، يولد النبى على ألسنتكم كل عام ويموت فى قلوبكم كل يوم ولو ولد فى أرواحكم لولدتم معه ، ولكان كل منكم محمداً صغيراً ولكن الخلف منذ ألف سنة مسلمين ولكان العالم منذ ألف سنة أندلساً عظيماً ، ولا التقي الشرق بالغرب منذ زمن طويل ، ولعقدت المادة مع الروح حلقاً شريفاً أبدياً ولمشى العقل والقلب يداً بيد إلى آخر مراحل الحياة ،

أيها المسلمون ، يقول أعدائكم الأفرنج فى دينكم كل فرية ، ودينكم من بهتانهم براء ، ولكنكم أنتم تصدقون الفرية بأعمالكم ، وتقرونها باهمالكم دينكم دين العلم ولكنكم أنتم الجاهلون ، دينكم دين التيسير ولكنكم أنتم المعسرون ، دينكم دين الحسنى ولكنكم أنتم المنفرون ، دينكم دين النصرة ، ولكنكم أنتم المتخاذلون ، دينكم دين الزكاة ولكنكم أنتم الباخلون ، لقد قال رسول الله ﷺ : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » ، يا محمد ، يا نبى الله حقاً ، يا فيلسوف الفلاسفة أجمعين ،

وسلطان البلغاء العربيين ، يا نبى الله حقاً ، يا مجد العرب يا مجد الإنسانية ، يا آية الصحراء الكبرى ، لم تقتل الروح بشهوات الجسد تعظيماً للروح ، آياتك آيات الخليفة ودينك دين الفطرة وإنى موقن أن الإنسانية بعد أن يئست من كل فلسفاتنا وعلومها وقطعت من مذاهب الحكماء جميعاً سوف لا تجد لها مخرجاً من مأزقها وراحة لروحها وصلاحاً لأمرها إلا بارتدائها فى حضن

الإسلام ، إذ تجد فيه حلاً لمشكلة الحياة والتوفيق بين قوى الإنسان  
جميعاً جسداً وعقلاً وروحاً ، وعندئذ يحق للبشرية في مثل هذا  
اليوم أن ترفع رأسها وتهتف ملء صدرها وبأعلى صوتها :  
عيد البرية عيد المولد النبوي      في المشرقين له والمغربين دوى  
عيد النبي ابن عبدالله من طلعت      شمس الهداية من قرآنه العلوى

## الحكم في الإسلام

يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته :

«لما كانت حقيقة الملك إنه الاجتماع الضروري للبشر ومقتضاه التغلب والقهر للذان هما من آثار الغضب والحيوانية كانت أحكام صاحبه في الغالب جائرة عن الحق بمحنة بمن تحت يده من الخلق في أحوال دنياهم لحمله إياهم في الغالب على ما ليس في طوقهم من أغراضه وشهواته ، فتعسر طاعته لذلك وتنجيء العصبية المفضية إلى الهرج والقتل فوجب أن يرجع في ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة ينقادون إلى أحكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الأمم ، وإذا خلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب أمرها ولم يتم استيلاؤها ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾»

فإذا كانت هذه القوانين من صنع العقلاء والحكماء كانت سياسة عقلية ، وإذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة . لأن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فإنها عبث وهو وباطل إذ غايتها الموت والفناء والله سبحانه يقول : ﴿افحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون؟﴾<sup>(١)</sup>

(١) المؤمنون : ١١٥ .



فالمقصود بهم إنما هو دينهم المفضى بهم إلى السعادة في آخرتهم ﴿صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض﴾<sup>(١)</sup> ، فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك فى جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة حتى فى الملك الذى هو طبيعى للإجماع الإنسانى فأجرتة على منهاج الدين ليكون الكل محوطاً بنظر الشارع ، فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب وإهمال القوة العصبية فى مراعاة فجور وعدوان ومذموم عنده ، وما كان منه بمقتضى السياسة وأحكامها فمذموم أيضاً لأنه نظر بغير نور الله ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾<sup>(٢)</sup> ، لأن الشارع الحكيم أعلم بمصالح الناس فى ما هو مغيب عنهم من أمور آخرتهم وأعمال البشر كلها عائدة عليهم فى معادهم من ملك أو غيره ، قال ﷺ : «إنما هى أعمالكم ترد عليكم» ، وأحكام السياسة إنما تطلع على مصالح الدنيا فقط ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾<sup>(٣)</sup> ، ولذلك وجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية فى أحوال دنياهم وآخرتهم ، وكان هذا الحكم لأهل الشريعة وهم الأنبياء ومن قام فيه مقامهم وهم : الخلفاء - اهـ ،

ولهذا يسمى الحاكم خليفة أو اماماً وهو نائب عن صاحب الشريعة فى حفظ الدين وسياسة الدنيا وقد سمي اماماً تشبيهاً له بإمام الصلاة فى اتباعه والافتداء به وسمى خليفة لكونه يخلف النبى فى

(١) الشورى : ٥٣ . (٢) النور : ٤٠ .

(٣) الروم : ٧ .

أُمته ،

هذه الخلافة تكون بالانتخاب أو الترقية والشورى ، وللمسلم أن يحاسب الخليفة والإمام على أعماله وعلى الحاكم أن يتقبل ذلك كما عليه أن يقبل النصيحة من أى مسلم مهما كان شأنه وأن لا يضيق ذرعاً بها لأنه مسؤول عن جميع المسلمين فى الدنيا والآخرة ،  
وها انذا أقدم الحاكمين الأولين فى صدر الإسلام أبابكر وعمر رضى الله عنهما وبيان كل منهما الذى ألقاه فى أول خطبة له بعد المبايعه ورسم فيه الخطوط الكبرى للاصلاحات والأعمال التى سيقوم بها أثناء حكمه وهما شيهان بالبيانات التى يحكم على أساسها حكام عصرنا ويحظون بثقة المجالس النيابية على أساسها أيضاً ، لنرى مبلغ تحسس الحاكم الإسلامى بالمسؤولية التى يحملها .

## بيان الحكومة الأولى

خطب أبوبكر رضى الله عنه حين بوع ، فقال : «أيها الناس قد وليت عليكم وليست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فساعدوني ، اطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له واضعفكم عندي القوى حتى آخذ الحق منه ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضرهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء» .  
فنحن نرى في بيان حكومة أبى بكر رضى الله عنه الخطوط العريضة لحكمه ،

أولاً : صلاح الحاكم وتجرده .

ثانياً : العمل بمبدأ الشورى .

ثالثاً : إقامة العدالة الاجتماعية .

رابعاً : محاربة الانحلال الخلقي .

خامساً : الجهاد في سبيل الله ، وهذا يشمل جهاد النفس

الأمارة بالسوء وتقويمها

كما شمل حماية العقيدة وإعلاء كلمة الله والانفاق على الأسرة

وحماية الأرض والمال والوطن .

## مسؤولية الحاكم

كما نرى من خلال اللهجة المتواضعة في بيان أبي بكر رضى الله عنه فهمه العميق للمسؤولية ومدى تعاطفه مع الرعية فهو يجعل طاعة الرعية له متوقفة على صلاحه وعدله وتنفيذه أوامر الله ، وهو يشرك الرعية في الحكم من خلال ترك القول الفصل لها في كون نهجه صالحاً أو فاسداً ، ثم إنه يضرب لها المثل الأعلى في الزهد والترفع والابتعاد عن زخرف الحياة والطغيان على مال الدولة ، فقد أصبح في اليوم الثاني من خلافته غادياً إلى السوق وعلى ساعده ابراد يمانية يبيعها فسأله عمر رضى الله ، أين تريد ؟ قال إلى السوق ، قال وتصنع ماذا ؟ وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال فمن أين اطعم عيالى ؟ فقال عمر انطلق يفرض لك أبو عبيدة ، فانطلق إلى أبي عبيدة فقال أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم ، وكسوة الشتاء والصيف إذا اخلقت شيئاً رددته وأخذت غيره ، ففرض له كل يوم نصف شاه وما كساه في الرأس والبطن ومعنى ما كساه أى ناقصاه في ثمن رأس الشاة وبطنها (رواه ابن سعد) عن عطاء بن السائب (تاريخ الخلفاء للسيوطى صفحة ٥٣) .

دخل أبو بكر رضى الله عنه معتمراً بعد مبايعته فأتى داره وأبوه جالس على باب الدار ومعه فتیان يحدثهم فقبل له : هذا ابنك قد

أقبل فنهض أبوقحافة قائماً وراه أبوبكر فعجل فأناخ راحلته وهو يقول : يا ابتاه لا تقم ، ثم عانقه وقبله بين عينيه وأبوقحافة يبكي فرحاً بقدوم ابنه الخليفة ، وجاء إلى مكة ومعه وفد من كبار القوم للسلام عليه فألقوا عليه سلام الخلافة : السلام عليك يا خليفة رسول الله فبكى أبوبكر حين ذكروا رسول الله عليه وسلم ، ثم سلموا على أبي قحافة ، فقال أبوقحافة لولده : يا عتيق هؤلاء الملاء فأحسن صحبتهم ، فقال أبوبكر «يا ابتاه ، لا حول ولا قوة إلا بالله طوقت عظيماً من الأمر لا قوة لي به ولا يدان إلا بالله» ثم سأل الناس عن ظلامتهم فما اتاه أحد واثني الناس على واليهم عتاب بن أسيد .

لقد كان أبوبكر المثل الأعلى للحاكم المسلم في حياة رسول الله وبعدها ، فقد انفق أمواله على رسول الله وعلى شؤون المسلمين وتيسير أمور الدولة يقول ابن الجوزي في قوله تعالى : ﴿وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ انه نزل في أبي بكر وخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (ما نفعتي مال قط ما نفعتي مال أبي بكر ، فبكى أبوبكر وقال هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله ؟ ) وخرج ابن عساكر من طرق عائشة رضي الله عنها وعروة ابن الزبير أن أبا بكر أسلم يوم أسلم وله أربعون ألف دينار وفي لفظ أربعون ألف درهم انفقها على رسول الله كما أخرج ابن عساكر عن عائشة أيضاً أن أبا بكر أعتق سبعة أرقاء كلهم يُعذب في الله .  
 وحين توفي رسول الله ﷺ ارتدت قبائل كثيرة عن الإسلام

وامتنع بعض المسلمين عن أداء الزكاة فقالوا نصلي ولا نركي ،  
فنهض أبو بكر لقتالهم وأشار عليه عمر وغيره أن يرجع عن قتال  
مانعي الزكاة فقال : والله لو منعوني عقلاً أو عناقاً كانوا يؤدونها إلى  
رسول الله لقاتلتهم على منعها ، فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد  
قال رسول الله : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله  
وأن محمداً رسول الله ، فمن قالها عصم في ماله ودمه إلا بحقها  
وحسابه على الله» ؟ فقال أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة  
والزكاة ، فإن الزكاة حق المال وقد قال رسول الله : إلا بحقها .  
فقال عمر : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال  
فعلمت أنه الحق :

واستمر أبو بكر في خلافته كمثل أعلى للمسلمين يجاهد من  
أجلهم بنفسه وماله إلى أن توفاه الله ، اخرج الطبراني في مسنده عن  
الحسن بن علي رضي الله عنها ، قال : لما احتضر أبو بكر قال  
لابنته : يا عائشة انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها ، والجفنة  
التي كنا نصطبغ فيها ، والقטיפفة التي كنا نلبسها فإننا كنا ننتفع بذلك  
حين كنا نلى أمر المسلمين ، فإذا مت فارددية إلى عمر . فلما مات  
أرسلت به عائشة إلى عمر فقال : رحمك الله يا أبا بكر لقد اتعبت  
من جاء بعدك .

لقد كان أبو بكر يشتري الإبل والخيل والسلاح من ماله فيجعلها  
في سبيل الله ، وحين توفي دعا عمر رضي الله عنه الأئمة ومنهم  
عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ودخل معها في بيت مال أبي  
بكر فلم يجدوا فيه شيئاً لا ديناراً ولا درهماً ، لأنه كان يقسم ما فيه

على الفقراء والمساكين بالتساوى حتى يفرغ ،  
فألله الله ، شتان بين من يفرغ بيت المال في جيوبه وجيوب  
انصاره وازلامه وبين من يفرغه في جيوب الفقراء والمعوزين وعلى  
مصالح الأمة .

## بيان الحكومة الثانية

خطب : عمر رضى الله عنه حين ولى الخلافة . فقال :  
«أيها الناس ، إني داع فامنوا . اللهم إني غليظ فليكن لأهل  
طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقني الغلظة  
والشدة مع أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم لهم ولا  
اعتماد عليهم ، اللهم إني شحيح فسخرني في نواب المعروف قصداً  
من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة واجعلني ابتغى وجهك  
والدار الآخرة . اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب  
للمؤمنين» .

بهذا وضع عمر رضى الله عنه الخطوط العريضة لحكمه :  
أولاً : صلاح الحاكم وتجرده .  
ثانياً : إقامة المجتمع الصالح .  
ثالثاً : الاقتصاد بمال الدولة وانفاقه في الوجوه المشروعة .  
رابعاً : محاربة الفساد وأهل الدعارة .  
خامساً : الرحمة واللين مع المواطن المستقيم تشجيعاً له ،  
والشدة والحزم مع المواطن المنحرف زجراً له .

أما تحسس عمر رضى الله عنه بالمسؤولية وفهمه لها فإننى أذكر  
بعض الوقائع بقدر ما يتسع له المقام فحياة عمر مليئة بالعظامم  
والأعمال الكبيرة والفتوحات الواسعة والآراء الفكرية النيرة



والاجتهادات الدينية السليمة . فبعد أن أسلم على يدى رسول الله قال يا رسول الله ألسنا على الحق ؟ قال بلى . قال فقيم الاخفاء ؟ وكان المسلمون يقومون بعبادة الله سرّاً خوفاً من أذى المشركين . يقول عمر خرجنا فى صفين أنا فى احدهما وحمزة فى الآخره ، حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش إلى والى حمزة فاصابتهم كآبة شديدة لم يصيبهم مثلها فسمانى رسول الله «الفاروق» يومئذ ،

اخرج ابن عساكر عن على قال : ما علمت أحداً هاجر إلّا متخفياً إلّا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده اسهماً وأتى الكعبة واشراف قريش بفنائها فطاف سبعاً ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة بعد واحدة فقال : «شاهت الوجوه من أراد أن تتكله أمه ويتم ولده . وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادى فلم يتبعه منهم أحد .» وهذا يعنى أن المسلم مسؤول عن عقيدته أولاً والحفاظ عليها والدفاع عنها ولو بذل فى ذلك ماله ونفسه ،

كان عمر شديداً فى الحق لا تأخذه فيه لومة لائم لذلك بدأ خلافته بالقول : اللهم إنى شديد فلينى . وطبق مبدأ الثواب والعقاب على الرعية لا فرق بين كبير وصغير وغنى وفقير وحاكم ومحكوم فأمر أحد الأعراب أن يلطم الملك جبلة بن الأيهم الغسانى كما لطمه وحين قال له جبلة ، أنا ملك وهو من السوق فكيف يضربنى ؟ أجابه عمر : الإسلام ساوى بينكما ،

وأمر أحد الأقباط المصريين بأن يضرب ابن عمرو بن العاص بالسوط كما ضربه وقال كلمته المشهورة يا ابن العاص متى استعبدتم

الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحراراً ؟  
وكان إذا أمر بشيء أو نهى عنه يجمع أهله أولاً ويقول لهم إني  
نهيت عن كذا وكذا واقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله إلا  
ضاعفت عليه العقوبة .

أخرج ابن سعد عن الأحنف بن قيس قال : كنا جلوساً بباب  
عمر رضى الله عنه فمرت جارية فقالوا : سرية يا أمير المؤمنين ، فقال  
ما هي لأمر المؤمنين بسرية ولا تحل له ، إنها من مال الله ، فقلنا فإذا  
يحل له من مال الله قال : إنه لا يحل لعمر من مال الله إلا حلتين  
حلة للشتاء وحلة للصيف ، وما أحجج به وأعتمر . وقوتى وقوت  
أهلى كرجل من قريش ليس باغناهم ولا بافقرهم ثم إنا بعد رجل  
من المسلمين .

وعن زيد بن اسلم عن أبيه قال : أتى عام جدد وقحط في  
عهد عمر (عهد الرمادة) فكان إذا أمسى أتى له بخبز قد ثرد بالزيت  
إلى أن نحروا يوماً جزوراً فاطعمها الناس ، وغرفوا له أطيبها قدراً من  
سنامها وكبدها ، فقال عمر : أتى هذا ؟ قالوا يا أمير المؤمنين من  
الجزور التي نحروا اليوم قال : يخ بخ بئس الوالى أنا إن أكلت أطيبها  
واطعمت الناس كراديسها ، أرفع هذه الجفنة يا غلام ، وهات لنا  
غير هذا الطعام ، فأتى بخبز وزيت ، فجعل يكسره بيده ويثرد ذلك  
الخبز ثم قال : ويحك يا يرفأ (مولاه) أرفع هذه الجفنة حتى تأتى بها  
أهل بيت بتمنع (مكان تجاه المدينة) فإني لم آتهم منذ ثلاثة أيام  
واحسبهم مققرين فضعها بين أيديهم .

كان عمر أول من عس بالليل لتفقد الرعية والاطلاع على

أحوالهم وشؤونهم الحياتية ، فعن الأوزاعي رضي الله عنه قال : إن عمر خرج في سواد الليل فرآه طلحة يدخل بيتاً ثم يدخل آخر فلما أصبح الصباح ذهب طلحة إلى ذلك البيت فإذا به عجوز عمياء مقعدة فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟ قالت : إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا ، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى . قال طلحة : ثكلتك أمك يا طلحة ، اعثرات عمر تتبع ؟

وقصة الأم الفقيرة التي كانت تضع الحصى في القدر وتوقد تحته النار توهم أولادها الجائعين أنها تهىء لهم الطعام وأحس عمر بذلك فحمل كيس الطحين على ظهره وأبى إلا أن يوقد النار بنفسه وينفخها ليطعم الصغار .

أجل ، إنه عمر بن الخطاب الذي كان يقول : «لومات جدّي بطف الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر» ، عمر الذي كان يخصي أموال عماله وولاته قبل الولاية . ثم يستقدمهم كل موسم من مواسم الحج ليحاسبهم عما زاد . ويحقق هو بنفسه فيما ينقله إليه الرقباء عنهم .

عمر الذي فتح بابه للشكايات من المظالم فكانت طريقته التحقيق أولاً ثم الثواب أو العقاب والمساواة بين أكبر الولاة وأصغر الرعية ، فمن ضرب ضرب ومن غصب رد ما غصب ومن اعتدى قبول بمثل اعتدائه .

عمر بن الخطاب مات مديوناً وقال لابنه بعد أن طعنه فيروز «أبولولة» يا عبدالله : انظر ما على من الدين ، فحسبوه فوجوده سبعة وثمانين ألفاً أو نحوه قال : إن وفاه مال آل عمر فإنه من

أموالهم ، وإلا فسل في بني عدى بن كعب . فإن لم تف أموالهم ،  
فسل في قريش ولا تتعدها إلى غيرهم ،  
عمر الذي أرسى قواعد الشورى في الحكم فأوصى قبل موته  
بأن يختار المسلمون واحداً من ستة وهم : علي . عثمان . وطلحة ،  
والزبير . وسعد بن أبي وقاص . وعبدالرحمن بن عوف ، فقبل  
له : لو أنك عهدت إلى ولدك عبدالله . فإنه أهل لذلك في دينه  
وفضله وقديم إسلامه . فقال : « بحسب آل الخطاب أن يحاسب  
منهم رجل واحد عن أمة محمد ﷺ ولوددت لو أني نجوت من هذا  
الأمر كفافاً لا لي ولا علي ، عليكم هؤلاء الرهط الذين قال فيهم  
رسول الله أنهم من أهل الجنة ، وليدخل معهم ولدى عبدالله مشيراً  
ولكن ليس له من الأمر شيء » ،  
نكتفي بهذا القدر من الأمثلة لينظر حكامنا مواقعهم من  
الحكم .



الباب الخامس  
مفاتيح الأرض والسماء

## الوسطية الاقتصادية الإسلامية

إذا كنتم تحبون أن تفتح لكم أبواب السماء والأرض فاحملوا إليها نظام الإسلام الاقتصادي (الوسطية) ،

هذا النظام نحن الذين بشرنا به العالم وطبقنا مفهومه دون أن نسميه إذ أن الرسالة الإسلامية لم تكن في مضمار العلم بأقل منها شأنًا في مضمار القضايا الحياتية والمعيشية ،

الم يقل رسول الله ﷺ الناس شركاء في ثلاث : في الماء والكلأ والنار ؟ (رواه ابن ماجة) ،

ألم يقل في الأرض الموات من عمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها ؟ (رواه البخاري) ،

لقد وضعت الرسالة الإسلامية قاعدة النظام الوسطى : ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط...﴾ الآية ،  
أى لا افراط ولا تفريط ولا يمين ولا يسار بل الزم الوسط في أمورك المالية فذهابك إلى اليمين يجعلك محتكراً متسلطاً معرضاً لعقاب الله الصارم فتكوى بما كترت من ذهب وفضة ، بالمال الذي احببته وادخرته وجهدت في جمعه ، قال تعالى : ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كترتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتنون﴾<sup>(١)</sup>

(١) التوبة : ٣٥ .

وذهابك إلى اليسار يجعلك عبداً للدولة واجيراً للجماعة لا قدرة لك على التملك لذهاب كل ما تجمعها لها وأنت في النهاية حامل الذكر والطموح والموهبة ، وهذا مخالف لفطرة الإنسان التي فطره الله عليها ،

الوسطية هذه تقوم على أساسين متينين :  
أولهما : ديني قائم على الاعتقاد بأن المال لله ونحن قيمون على انفاقه في الوجوه المشروعة وثانيها : مادي يتمثل في الأمور التالية :  
أولاً : في الزكاة التي فرضها الله على المكلفين المسلمين المالكين للنصاب في كل من الماشية والزروع والثمار والتقود وعروض التجارة ، قال تعالى : ﴿ وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ ، ويستحق الزكاة أولئك الذين حددهم الله بقوله . ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ﴾ (١)

ثانياً : في الفىء ، ويراد بالفىء الغنائم التي يكسبها المسلمون من الكفار بالقتال ، كما يراد به الغنائم التي يحصلون عليها من الكفار عفواً ، ويطلق أيضاً على أموال الجزية المفروضة على الأرض المفتوحة عنوة أو صلحاً . قال تعالى : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ، ولذى القربى واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ (٢) .  
ثالثاً : في الغرامات التي تفرضها الدولة الإسلامية على من

(١) التوبة : ٦٠ .

(٢) الحشر : ٧ .



يرتكون الذنوب أو يخالفون الأحكام الشرعية .  
رابعاً : فى الركاز وهو المال المدفون تحت الأرض فضة كان أو ذهباً أو جواهر أو سلاحاً ويؤخذ من واجده الخمس .  
خامساً : فى مال المتوفى دون وارث : يؤخذ ماله كله للدولة .  
سادساً : فى مال المرتد ، يصبح ماله كله للدولة .  
سابعاً : فى الغلول ، وهو ما يكسبه الولاة والعمال وموظفو الدولة عن طريق مراكزهم بدون حق ويؤخذ ملكاً للدولة .  
ثامناً : فى اقطاع الأرض المملوكة للدولة حيث يؤخذ من المقطع له (بضم الميم وفتح الطاء) العشر إذا كانت الأرض عربية أو أرض أسلم أهلها يؤخذ زكاة فيما تجب فيه الزكاة العشر وخراج الأرض .

هذه هى الروافد المالية التى تصب فى بيت مال المسلمين وعلى هذين الأساسين قام نظام الوسطية وقام التضامن والتكافل بين المسلمين .

## السلام

احملوا إليها سلام الإسلام الذى اتخذهُ المسلمون تحية ، السلام عليكم ورحمة الله ، لا السلام الذى به تتشددون وفى سبيله تتصارعون كتلاً واحلاقاً :

تتشددون السلام قولاً ، وفعلاً	تستواري بسرکم أشياء
لن يعيش السلام فى الأرض حتى	يتساوى الضعاف والأقوياء
إن طرحتم من الحساب قيوداً	من اذاها يولول الضعفاء
أو نزعتم من القلوب حقوقاً	يتلقى شرورها الأبرياء
أو هدمتم من البلاد حلوداً	رسمتها مطامع نكراء
إنما الذرة التى ترعب الناس	بغير الوثام شىء هباء
فكرة الخير ديمة أين حلت	حل فى الأرض خيرها والصفاء

إن السلام الحقيقى هو فى الإسلام ، قال تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (١) ،

الإسلام الذى هو تسليم لله وانقياد لحكمه وإيمان به وبعقابه على السيئات وثوابه على الحسنات فى الحياة وفى المات ، وبقدرته على كل شىء والذى هو تأمين الناس على دمائهم وأموالهم واعراضهم

(١) المائدة : ٣ .

وحرياتهم قال رسول الله ﷺ «أشرف الإيمان أن يأمنك الناس ،  
وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من يدك ولسانك» ،  
إنه السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف ،  
السلام الذى يلقى الأمن فى النفوس فتستقر وتطمئن وتشعر أنها  
مع إنسان مسالم وفى ديار آمنة مطمئنة ،

سلام لا ضعف فيه ولا استسلام لغير الله ، قال تعالى :  
﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات  
الشیطان﴾<sup>(١)</sup> ، وقال : ﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم  
ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال سبحانه : ﴿وإن  
جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾<sup>(٣)</sup> .

إنه السلام المستعد المتأهب للذود عن مبادئه ودفع الأذى  
والعدوان عن ساحته واتباعه ، قال تعالى : ﴿وأعدوا لهم ما  
استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ،  
وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾<sup>(٤)</sup>

سلام يرحب بالعفو عند المقدرة ، وبالإحسان بدل الإساءة ،  
هذا هو السلام الأصيل الذى ينبع منه الشعاع القائل :  
«نسالم من يسالنا ونعادي من يعاديننا .» فتى يفهم الشرق

والغرب حقيقة الإسلام ؟

نكره الشرق إذا الشرق اعتدى      نكره الغرب إذا الغرب إساء  
هذه للحب أيدينا فن      شاء عهداً لا يرى إلا الوفاء

(١) البقرة : ٢٠٨ . (٢) البقرة : ١٩٠ .

(٣) الأنفال : ٦١ . (٤) فصلت : ٢٣ .

إنه دعوة عامة إلى وحدة الجنس البشرى كله فى نداء شامل  
كرىم : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرواثى وجعلناكم شعوباً  
وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾<sup>(١)</sup> ، دعوة عامة لم  
تمیز قوماً عن قوم وجنساً عن جنس «أيها الناس» ولم تخص مسلماً  
ولا مسیحياً ولا يهودياً بل أهابت بالجنس البشرى كله أن يتحد  
ويتعارف لما فيه خيره وبقاؤه ،

وهو دعوة خاصة إلى أمة عربية متماسكة الأواصر متحدة الآراء  
والأهداف قال تعالى : ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم  
فاتقون﴾<sup>(٢)</sup> ،

أمة شعارها الاخاء - إنما المؤمنون إخوة - الاخاء الحقيقى الذى  
لا يستبدل الروح بالمادة والعدل بالظلم ، والنظام بالفوضى ،  
والرحمة بالقسوة ، والمحبة بالكراهية ،  
أمة شعارها الوحدة والتوحيد : لا إله إلا الله محمد رسول الله ،  
كتابها واحد وإلهها واحد ، ورسولها واحد ، وكعبتها واحدة ،  
وواجباتها واحدة ، لا فضل لأحد أبنائها على الآخر إلا بقدر ما  
يقدم لنفسه ولها من عمل صالح «لا فضل لعربى على أعجمى إلا  
بالتقوى» ،

خطب النائب البرلمانى البريطانى (المستر جورج بروك) خطبة  
ألقاها فى مدينة (برفورد) فى انكلترا ، قال فيها : إن الإسلام دين  
عالمى بطبيعته ، إن الإسلام دين السلام والمحبة بين البشر ، وإنه

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) المؤمنون : ٥٢ .

يلعب دوراً خطيراً في شؤون العالم ، واني اعتقد أن خطورته وتأثيره  
في مستقبل العالم سيزداد جيلاً بعد جيل .

## المساواة

احملوا إليها المساواة التي كرسها الإسلام قولاً وفعلًا في فريضة يومية خمس مرات كل يوم وليلة وفي فريضة سنوية تجمع المسلمين في صف واحد فلا كبير ولا صغير ولا غنى ولا فقير ولا أسود ولا أبيض فالتناس كلهم سواسية كأسنان المشط ،

المساواة التي تحترم الإنسان أيًا كان وحيثما كان قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ (١) ،

بل أى شىء يحث على المساواة أوقع في النفس من قول صاحب الرسالة لامرأة عربية ارتعدت خشية من لقائه «هوفى عليك ما أنا بجبار ولا ملك إنما ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد» ؟ حدث أبوذر الغفارى رضى الله عنه فقال : ساءت رجلاً فعيرته بأمه فعاتبنى النبي ﷺ فيه ، فقال : يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ، أخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم» .

أين هذا كله من العنصريين ، أولئك الذين يميزون الأبيض على

---

(١) الحجرات : ١١ .

الأسود لا بالعمل المثمر البناء ولا بالخلق النبيل ، بل بالشكل واللون الذى لا حول للإنسان فيه ولا طول ، فالأبيض والأسود والأصفر والأحمر ، كلهم لآدم وآدم من تراب ، قال البروفيسور «الدكتور ف. ف. بارتولد» السوفيائى ، لقد أثبت الإسلام خلال مئات السنين والأعوام قدرته على البقاء وضرب المثل الأعلى فى الاخاء والمساواة بصورة يتفوق معها على ما حققه الدين المسيحى فى هذا السبيل ولهذا لا يمكن لأى دين آخر مزاحمة الدين الإسلامى أو التقدم عليه .

## العدل

أحملوا إليها عدل الإسلام ، لا شريعة الغاب وغدر الذئاب  
والعدل الأبر الذي لا يزال يتلمس طريقه إليكم ،  
العدل الذي عرفتموه قوة تكبل الضعيف وثراء يستنزف دم  
الفقير وانكاراً لحق الشعوب الضعيفة في الحياة وعرفناه قانوناً إلهياً  
يرد الحق إلى فاقديه وينتزع لهم من غاصبين ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ  
يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ  
تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (١) ،

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (٢) ،  
العدل الذي لا يميز بين حاكم ومحكوم ، وغنى وفقير ، واسود  
وأبيض ، وعدو وصديق ، قال تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ  
عَلَىٰٓ أَنْ تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٣) ،  
العدل الذي تمازجه الرحمة استلهمه قوادنا في فتوحاتهم فما  
تركوا أعدل منهم حتى قال فيهم أحد المؤرخين : لم يعرف التاريخ  
فاتحاً أعدل من العرب .  
رحمة لم تقتصر على الإنسان بل تعدته إلى الحيوان .  
حدث رسول الله أصحابه فقال : «بينما رجل يمشى بطريق ،

---

(١) النساء : ٥٨ . (٢) النحل : ٩١ . (٣) المائدة : ٨ .



اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب فحمد الله ، ثم خرج وإذا بكلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى ، فنزل البئر ، فلأخفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى ، فسقى الكلب ، فشكر الله تعالى فغفر له ، فقالوا : يا رسول الله وإن لنا فى البهائم لأجراً ؟ قال فى كل كبد رطبة أجر» ،

أين دعاة الرفق بالحيوان ؟ بل أين هم دعاة حقوق الإنسان ؟ كما أن لصاحب الرسالة رأياً خاصاً فى العدل ، هو أن تنصر الظالم والمظلوم على السواء ، فقد قال : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قالوا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قال تحجزه عن الظلم فى ذاك نصره» ،

وأى تهديد للظلم والظالمين من سوء العاقبة والمصير الأسود الذى ينتظرهم ، قال تعالى : ﴿وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾<sup>(١)</sup> ، وقال رسول الله ﷺ : «اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» .

ألا إنها رسالة الحق والعدل الذى لا يتغير ولا يتجزأ ولا يتجنس أكان فى ديار البيض أم فى مواطن الزنوج ؟  
«ليس فى شرعة الإله طغاة ، وامتناز لبيض جلد وسود ، واعتداد بطيب أصل وفرع ، إنما الفضل للتقى الرشيد» .

(١) الشعراء : ٢٢٧ .

## الحرية

... احمّلوا إليها الحرية القائمة على العدل لا الحرية القائمة على الظلم ، الحرية المكومة الأفواه ، المشخنة بالجراح ، المثقلة بالقيود رأيناها في الجزائر ، وعمان ، والكونغو ، وجنوب إفريقيا ، وفي كثير من البلاد المغتصبة ، المغلوبة على أمرها ، بل رأيناها في فلسطين ، وفي خيام اللاجئين المشردين ، إن السماء لتهزأ بكم ويدعواتكم المزيفة حيث تعلنونها باسم الشعوب ومساعدتها وهي في الحقيقة الطعم المهيأ لاقتناصها . دعوة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ، ظاهرها مساعدة الشعوب المستضعفة ، وباطنها استعمار هذه الشعوب واستثمار مواردها ،

إن السماء هي التي حررت الإنسان من قيود السيطرة والاستغلال ولم تجعل لرسالتها سلطاناً على الناس لحملهم على ما تريد ويريدون بل قالت لمحمد ﷺ : « إن عليك إلا البلاغ » وقالت « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » وقالت : أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »<sup>(١)</sup>

إن دعوة الإسلام إلى الحرية دعوة عملية حقيقية لا مجرد كلام وادعاء

---

(١) يونس : ٩٩ .

فالقتل خطأ كفارته : تحرير رقبة  
والحنث بالأيمان كفارته : تحرير رقبة  
والافطار عمداً في رمضان كفارته تحرير رقبة  
والاحسان ذروته : تحرير رقبة  
ومعظم الذنوب كفارتها : تحرير رقبة  
هذا في حين كان الرق أمراً مستساغاً وتجارة رابحة ، يباع  
الإنسان فيها ويشترى كالبهائم ، فجاءت رسالة الإسلام لتحرر  
العبيد ، وتعيد إليهم اعتبارهم الإنساني .  
قال تعالى : ﴿فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة ؟ فك رقبة  
أو اطعام في يوم ذي مسغبة﴾ ومعنى فك رقبة أى تحرير عبد من  
عبوديته للإنسان ، لا كسرهما واخضاعها لنير الاستبعاد ،  
قال تعالى : ﴿ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة﴾<sup>(١)</sup>  
وقال تعالى : ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن  
يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من  
أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾<sup>(٢)</sup> ،  
وهي حرية في القول كما أنها حرية في العمل .  
«قل الحق ولو على نفسك» ،  
«إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له إنك ظالم فقد تودع  
منها»  
«أحب الأعمال إلى الله كلمة حق تقال عند سلطان جائر» ،

(١) النساء : ٩٢ .

(٢) المائدة : ٨٩ .

«خطب عمر بن الخطاب يوماً فقال : أيها الناس من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه» فنهض أحد الأعراب شاهراً سيفه وقال : والله يا عمر لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا ، فقال عمرو وهو خليفة المسلمين يومئذ : الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر» .

## كلمة أولى إلى أبناء الرسالة

يا أبناء الرسالة :

ها هي صواريخهم ومركباتهم الفضائية تعبر الأجواء وتخترق الفضاء ، وتوشك أن توجد لهم مقراً في السماء ، وأنتم لا تكادون تجدون مكانكم على الأرض ، منكم المشردون النازحون ، ومنكم المضطهدون المستضعفون ، ومنكم الخائفون الصامتون ، أيتها النسور المكبلية الأجنحة ، مكانك الذروة لا الحضيض ، هنالك على أبواب «فرنسا» و «الصين» و «الهند» لأجنحتك الملونة ألف ظل وظل .

ألم يساورك الحنين إلى الذرى ؟

أراك تطبقين الأجناف ثم لا تثورين على الأغلال !

لم يستبد بك «البغات» إلا حين توحد وتفرقت ، وآمن بالعلم وجهلت وشمر للعمل وقعدت ، فاستنسر البغات ، وحطم الحدود والمسافات وفجر كوامن الطبيعة وأسراها .

أيتها النسور المستكنة ، الفرقة في جبينك ذل ، وفي أجنحتك هوان ، ناطقة في عملك الزمن الرتيب ، شاهدة في جدلك الغريب العجيب ،

هذا أخطأ وذاك أصاب ،

سنى وشيىى ودرزى

هكذا تتنابدن ،

وبذلك تتخلفن عن مواكب النور ،

الجوهر واحد والهدف واحد أن يكون بين ضلوعك روح يشدك  
إلى الشمس وأن تكون مناقيرك معاول تبنى ولا تهدم تعمّر الأرض  
ولا تفسدها . وكما أن الأرض لا يرثها إلا الصالحون لعمارتها فكذلك  
السماء .

لقد كبلت الأحقاد الأجنحة ، وعقل الخوف الألسنة فلا  
تتحركن قيد أنملة إلى ما هو أفضل ، ولا تقولن بصراحة كلمة حق  
فى وجه سلطان جائر ، حتى الريشة المعوجة فى قوادمك لا  
تقومينها ،

أيتها النصور التى كانت تدغدغ أجفانها رقصة الشمس ،

ارتفعى عن سفاسف الأرض فلن يطالك البغات ،

ارتفعى بجراحك النازقة فلن تهشك ديدان الأرض .

أليست العزة الموعودة لك ؟ «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» ؟

أليست النخوة دمك الذى يغلى ؟

أما كنت خير أمة اخرجت للناس ؟ فلماذا أصبحت أذل أمة بين

الناس ؟

حطى الأغلال يا نسور ، لا تشغلنك توافه الحياة عن

جوهرها ، ولتكن المحبة التى تجمع ولا تفرق تبنى ولا تهدم تعز ولا

تذل ، سبيلك إلى الحياة هادراً ملء كيائك نداء الله متيناً فى

قبضتيك جبل الله ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ ،

لست انكر أن جماعات منك بدأت تستيقظ وتدخل إلى الحياة بقوة وتصميم ، وتحررت من أنانيتها ثم حطمت قيود الاستعمار التي تعيق زحفها المقدس .

إنها في اقطار مختلفة من دنيانا الواسعة شرعت اجنحتها لتدغدغ بقوادمها الجبارة وجه النجوم ، وشمرت عن سواعدها السمرء كي تستحم بزيت المعامل والمصانع ، هؤلاء الذين رفعوا رؤوسنا من التراب وفتحوا أعيننا على الأمل هؤلاء المتحررون نهتف في مسامعهم :

راشت جوانحك فما أحلى الذرى إن مسّها بعد الخراب جناح  
أما الذين في قلوبهم مرض ، وعلى أبصارهم غشاوة . أما  
الخونة المارقون ، فأولئك الذين يقيمون أجمادهم الشخصية على  
حساب أمتهم وكرامتها ، الذين يمالئون الأجنبي كي تسلم لهم  
أجمادهم الزائفة .

المارقون ، فأولئك الذين يقيمون أجمادهم الشخصية على  
حساب أمتهم وكرامتها ، الذين يمالئون الأجنبي كي تسلم لهم  
أجمادهم الزائفة .

﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما  
كانوا مهتدين ﴾ <sup>(١)</sup> ،

أولئك الذين نصفج وجوههم بقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا  
تفلسوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم  
المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ <sup>(٢)</sup>

(١) البقرة : ١٦ .

(٢) البقرة : ١١ - ١٢ .

أما الخائفون الصامتون المستسلمون للذل والقيد الذين أبوا أن  
يروا من الحياة إلا جوانبها المادية فانساقوا وراء سرايها الخادع فأولئك  
الذين نصرخ في وجوههم :

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾<sup>(١)</sup>  
الحق رهن يمينكم فتحرروا إن التحرر وحدة وكفاح

---

(١) الرعد : ١١ .



## وكلمة أخيرة إلى رواد الفضاء

وأخيراً يا رجال العلم ورواد الفضاء ..  
لقد وهبتكم السماء عقولاً انرموها بالعلم فأعطيتم البشرية خير  
وشر ما تعطون ،

اعطيتموها الدواء للمرض ، والنور للظلمة ، والحياة  
للموات ، والرفاهية التي لا تحد ، فادنتم البعيد ، وسهلتم العسير ،  
وانطقتم الخيال ، وحققتم المحال ، ولكنكم اعطيتموها الذرة التي  
تدمر كل شيء أتت عليه تدميراً ، فهل لكم أن تعطوا الأرض من  
عطاء السماء ، فلا يكون فيها فتن ولا شرور ولا تنافس على  
السيطرة والغلبة لتكون أمة أقوى من أمة ؟

ليس بعيداً بعد أن ادركتم القمر وحطت عليه سفنكم ومشيتم  
على ترابه الرمادي أن تفتحتموها مجاهل أخرى وأن تركروا  
راياتكم في أعماق الفضاء فرسالة الإسلام لا تنكر ذلك لأن دعوتها  
إلى هذه الرحلة أسبق من دعوتكم بخمسة عشر قرناً ،

إنها لا تستغرب انتصاراً مصدره العلم والعلماء ، بل تجد في  
ذلك تحقيقاً لدعوتها التي اهتمناها واستجبت لها فكان لكم فضل  
السبق ومجد الاكتشاف ولنا خيبة الأمل ومرارة الحرمان ، ولم  
يتخلف بناؤها عنكم الا لأنهم انحرفوا عن خطوطها واتبعوا

اهواءهم خلافاً لما يساور نفوسكم من شك ويرتسم على وجوهكم  
من تساؤل ، والبرهان التاريخي الذي لا يمكنكم انكاره مازال قائماً  
في جزيرة العرب وفي ربوع الأندلس ، وعلى تخوم فرنسا والهند  
والصين يوم أن نهض العرب وتحلفتم .

لقد وصلتكم إلى القمر وربما وصلتكم إلى أبعد من القمر ولكنكم لم  
تصلوا بعد إلى نفوسكم فتعرفوا الإنسان الكامل فيها ، الإنسان  
الذي عرفته رسالة الإسلام فاقامته خليفة الله على الأرض ، ولو  
عرفتموه حقاً ، لفجرتم الصواريخ وحطمتم الذرة وفتقتم من الأعماق  
آمناً برسالة الإسلام ، وبحرية الإنسان وبكرامة الإنسان .

## المراجع

- القرآن الكريم .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبدالباقى .
- الجامع الصغير : للسيوطى .
- اسنى المطالب فى أحاديث مختلفة المراتب : الشيخ محمد درويش الخوت
- التوراة والانجيل والقرآن والعلم : موريس بوكاى .
- المئة الأوائل : مايكل هارث .
- صفة الصفوة : ابن الجوزى .
- تاريخ الخلفاء : للسيوطى .
- العقد الفرید : ابن عبد ربه .
- مقدمة ابن خلدون : العلامة ابن خلدون .
- الإنسان والفضاء : نيل اردلى .

## الفهرس

٥	.....	الاهداء
٦	.....	المقدمة
الباب الأول :		
١٠	.....	القرآن الكريم ومحمد ﷺ
١٦	.....	القرآن الكريم والعلم
الباب الثاني :		
٢٤	.....	لافتات السماء أو معالم الوحي
٢٧	.....	الدعوة إلى ارتياد الفضاء
٣٤	.....	مسألة بدء الخلق
٤١	.....	ميزان السماء
٤٣	.....	الجاذبية
٤٥	.....	دورة الشمس والقمر
٤٨	.....	تداخل الليل والنهار والتكوير
٥٠	.....	تعدد المشارق والمغارب
٥٣	.....	النور والضياء
٥٧	.....	الماء في القرآن الكريم
٦١	.....	عالم الملائكة والجن
٦٤	.....	اتساع الكون

### الباب الثالث :

#### لافتات الأرض أو معالم الوحي

٦٨	..... الأرض
٧٨	..... نقصان الأرض

### الباب الرابع :

#### ماذا ستحملون إلى السماء يا رواد الفضاء

٨٤	..... الرأسالية ؟
٨٦	..... الفردية
٩٠	..... الشيوعية
٩٧	..... وشهد شاهد من أهله
١٠٣	..... الحكم في الإسلام
١٠٦	..... بيان الحكومة الأولى ومسؤولية الحاكم
١١١	..... بيان الحكومة الثانية ومسؤولية الحاكم

### الباب الخامس :

#### مفاتيح الأرض والسماء :

١١٨	..... الوسطية الاقتصادية الإسلامية
١٢١	..... السلام
١٢٥	..... المساواة
١٢٧	..... العدل
١٢٩	..... الحرية
١٣٢	..... كلمة أولى لأبناء الرسالة
١٣٦	..... كلمة أخيرة إلى رواد الفضاء
١٣٩	..... المراجع

## صدر من هذه السلسلة

المؤلف	الكتاب
[الدكتور حسن باجودة]	١ - تأملات في سورة الفاتحة
[الأستاذ أحمد محمد جمال]	٢ - الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه
[الأستاذ نذير حمدان]	٣ - الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين
[الدكتور حسين مؤنس]	٤ - الإسلام الفاتح
[الدكتور حسان محمد حسان]	٥ - وسائل مقاومة الغزو الفكري
[الدكتور عبد الصبور مرزوق]	٦ - السيرة النبوية في القرآن الكريم
[الدكتور علي محمد جريشة]	٧ - التخطيط للدعوة الإسلامية
[الدكتور أحمد السيد دراج]	٨ - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية
[الأستاذ عبد الله بوقس]	٩ - النوعية الشاملة في الحج
[الدكتور عباس حسن محمد]	١٠ - الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره
[د. عبد الحميد محمد الهاشمي]	١١ - لمحات نفسية في القرآن الكريم
[الأستاذ محمد طاهر حكيم]	١٢ - السنة في مواجهة الأباطيل
[الأستاذ حسين أحمد حسون]	١٣ - مولود على الفطرة
[الأستاذ علي محمد مختار]	١٤ - دور المسجد في الإسلام
[الدكتور محمد مسالم محسن]	١٥ - تاريخ القرآن الكريم
[الأستاذ محمد محمود فرغلي]	١٦ - البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام
[الدكتور محمد الصادق عفيفي]	١٧ - حقوق المرأة في الإسلام
[الأستاذ أحمد محمد جمال]	١٨ - القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته [١]
[الدكتور شعبان محمد اسماعيل]	١٩ - القراءات أحكامها ومصادرها
[الدكتور عبد الستار السعيد]	٢٠ - المعاملات في الشريعة الإسلامية
[الدكتور علي محمد العماري]	٢١ - الزكاة فلسفتها وأحكامها
[الدكتور أبو اليزيد العجمي]	٢٢ - حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم

## الكتاب

## المؤلف

- ٢٣ - الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ————— [ الأستاذ سيد عبد المجيد بكر ]
- ٢٤ - الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ————— [ الدكتور عدنان محمد وزان ]
- ٢٥ - الإسلام والحركات الهدامة ————— [ معالي عبد الحميد حموده ]
- ٢٦ - تربية النشء في ظل الإسلام ————— [ الدكتور محمد محمود عمارة ]
- ٢٧ - مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي ————— [ الدكتور محمد شوقي الفنجري ]
- ٢٨ - وحي الله ————— [ الدكتور حسن ضياء الدين عتر ]
- ٢٩ - حقوق الإنسان وواجباته في القرآن ————— [ حسن أحمد عبد الرحمن عابدين ]
- ٣٠ - المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية ————— [ الأستاذ محمد عمر القصار ]
- ٣١ - القرآن كتاب أحكمت آياته [٢] ————— [ الأستاذ أحمد محمد جمال ]
- ٣٢ - الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج ————— [ الدكتور السيد رزق الطويل ]
- ٣٣ - الاعلام في المجتمع الإسلامي ————— [ الأستاذ حامد عبد الواحد ]
- ٣٤ - الالتزام الديني منهج وسط ————— [ عبد الرحمن حسن حنكة الميداني ]
- ٣٥ - التربية النفسية في المنهج الإسلامي ————— [ الدكتور حسن الشرفاوي ]
- ٣٦ - الإسلام والعلاقات الدولية ————— [ الدكتور محمد الصادق عفيق ]
- ٣٧ - العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية ————— [ اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ ]
- ٣٨ - معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها ————— [ الدكتور محمود محمد بابلي ]
- ٣٩ - النهج الحديث في مختصر علوم الحديث ————— [ الدكتور علي محمد نصر ]
- ٤٠ - من التراث الاقتصادي للمسلمين ————— [ الدكتور محمد رفعت العوضي ]
- ٤١ - المفاهيم الاقتصادية في الإسلام ————— [ د. عبد العليم عبد الرحمن خضر ]
- ٤٢ - الأقليات المسلمة في أفريقيا ————— [ الأستاذ سيد عبد المجيد بكر ]
- ٤٣ - الأقليات المسلمة في أوروبا ————— [ الأستاذ سيد عبد المجيد بكر ]
- ٤٤ - الأقليات المسلمة في الأمريكتين ————— [ الأستاذ سيد عبد المجيد بكر ]

## الكتاب

## المؤلف

- ٤٥ - الطريق إلى النصر ————— [الأستاذ محمد عبد الله فوده]
- ٤٦ - الإسلام دعوة حق ————— [الدكتور السيد رزق الطويل]
- ٤٧ - الإسلام والنظر في آيات الله الكونية ————— [الدكتور محمد عبد الله الشرفاوى]
- ٤٨ - دحض مفتريات ————— د. البدر اوى عبد الوهاب زهران]
- ٤٩ - المجاهدون في فطاني ————— [الأستاذ محمد ضياء شهاب]
- ٥٠ - معجزة خلق الإنسان ————— [د. عبد الرحمن عثمان]
- ٥١ - مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية ————— [الدكتور سيد عبد الحميد موسى]
- ٥٢ - ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربى والماركسى ————— [أنور الجنى ————— دى]
- ٥٣ - الشورى سلوك والتزام ————— [د. محمد أحمد البابلي]
- ٥٤ - الصبر في ضوء الكتاب والسنة ————— [أسماء عمر فدعق]
- ٥٥ - مدخل إلى تحصيل الأمة ————— [د. أحمد محمد الخراط]
- ٥٦ - القرآن كتاب أحكت آياته ————— [الأستاذ أحمد محمد جمال]
- ٥٧ - كيف نكون خطيباً ————— [الشيخ عبد الرحمن خلف]
- ٥٨ - الزواج بغير المسلمين ————— [الشيخ حسن خالد]
- ٥٩ - نظرات في قصص القرآن ————— [محمد قطب عبد العال]
- ٦٠ - اللسان العربى والاسلامى معاً في مواجهة التحديات ————— [الدكتور السيد رزق الطويل]
- ٦١ - بين علم آدم والعلم الحديث ————— [الأستاذ محمد شهاب الدين الندوى]
- ٦٢ - المجتمع الإسلامى وحقوق الإنسان ————— [الدكتور محمد الصادق عفيفي]
- ٦٣ - من التراث الاقتصادى للمسلمين ٢ ————— [د. رفعت اعوضى]
- ٦٤ - تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد ————— [الاستاذ عبد الرحمن حسن حينكه]
- ٦٥ - لماذا وكيف أسلمت ————— [الأستاذ أحمد سامى عبد الله]
- ٦٦ - أصلح الأديان عقيدة وشرعة ————— [الأستاذ عبد الغفور عطار]
- ٦٧ - العدل والتسامح الإسلامى ————— [الأستاذ أحمد محمد الخرنجى]
- ٦٨ - القرآن الكريم كتب أحكت آياته ٤ ————— [الأستاذ أحمد محمد جمال]
- ٦٩ - الحريات والحقوق الإسلامية ————— [محمد رجا حنى عبد المتجلى]
- ٧٠ - الإنسان الروح والعقل والنفس ————— [الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان]
- ٧١ - تأملات قرآنية ————— [الدكتورة عصمت الديب كركر]



مطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة

# صدر من هذه السلسلة

وَحْوَةٌ رَفِيعَةٌ

وَحْوَةٌ رَفِيعَةٌ

والسَّكَّاتُ  
الْعَذْلَةُ السَّامِعُ  
الْأَقْصَادُ لِلْمُسْلِمِينَ  
الْإِسْلَامِي

وَحْوَةٌ رَفِيعَةٌ

وَحْوَةٌ رَفِيعَةٌ

الْمَجْمَعُ الْأَسْلَامِيُّ  
الْجِرَافِيَّةُ الْحَقُوقُ  
تَهْنِئَاتُ الْإِنْسَانِ  
فِي الْإِسْلَامِ

والسَّكَّاتُ  
بِرُكُونِهِمْ وَالْمُسْلِمِينَ  
بِرُكُونِهِمْ وَالْمُسْلِمِينَ  
بِرُكُونِهِمْ

وَحْوَةٌ رَفِيعَةٌ

وَحْوَةٌ رَفِيعَةٌ

إِضَاعُ الْأَدْبَارِ الْإِنْسَانِيَّةِ  
مَلَاوِكَةُ كَيْفَانِيَّةٍ  
عَفِيفَةٌ وَشَرِيفَةٌ

والسَّكَّاتُ  
بِرُكُونِهِمْ وَالْمُسْلِمِينَ  
بِرُكُونِهِمْ وَالْمُسْلِمِينَ  
بِرُكُونِهِمْ